فَضْلُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاء



للـداعية حـامي حمى الإسـلام فـارس المنابر

الشيـخ عبد الحـميد كشك رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبة اجمعين أما بعد:

الـــــــــــواقع:

إن كتابات العالم، القطب، الفهَّامة، خَطِيب زمانه الشيخ عبد الحميد كشك لها في مكاتب العارفين مكانها المَرمُوق والمعتبر، وَطَلَبُها من قبل أهل العلم كثير وبإلحاح شديد. ذلك أن المؤلف الشيخ عبدالحميد كشك من الطراز الرفيع ومن قامات الراسخين في العلم تميز رحمه الله بالإخلاص مع المعرفة الواسعة والنظرة الثاقبة والتأويل السديد. رحم الله الشيخ واسكنه فيح جنانه.

الإشكــــــالية:

ولما طُبِعت كتب الشيخ طُبِع منها لجيل واحد ثم غاب جديد الاصدار منها. فسعى اوائل المُشْـترين بما يسعهم من الجهد أن يجعلوها في متناول قًادم الأجيال من خلال تصويرها ضوئيا ورفعها على النت ليسهل التمكن منها. لكن لأن هذه الكتب كانت طباعتها قديمة والنوعية رديئة كانت بعد تصويرها ضوئيا قراءتها أصعب. مما جعل البعض يَعِفُّ عن قراءتها والبعض الاخر يقرأها بعد جهد جهيد.

الحــــــــل:

وَفَّـق الله وهدى مجموعة من الشباب الجامعيين الذين ضَمَّهم فريق عمل اسموه **"إنا عاملون"** إلى أن يخرجوا هذه الكتب من جمود نص التصوير الضوئي الى حيوية النص بصيغة الوورد وال pdf لتسهيل الطباعة والنسخ. واعتمادها كمصادر سهلة التعامل في البحوث العلمية للأخوة الطلبة.

شكرا لكل فريق العمل. نحتسب عند الله العلي القدير أجر هذا الجهد اليسير ونأمل أن يصل إلى كل إنسان يسعى إلى أن يعيش حياته وفق المنهج الاسلامي المنقول إلينا عن طريق رجالات العلم الذين خرَّجوا لنا هذا المنهج بما يتوافق مع الوضع الاجتماعي الجديد وفق رؤية سليمة سلسة بسيطة.

تمت اللمسة الأخير على الكتاب في الرابع من شهر رمضان المبارك 1436 هجرية. الموافق ل 21 جوان 2015 ميلادي.

لطلب جديد الكتب المعادة الكتابة نرجوا الطلب من صاحب الايميل التالي: abbes010@gmail.com

الشيخ عَبْد الحَميد كشْك

فضل الذكر والدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(الآية 41 من سورة إبراهيم).

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴾

(الآية 28 من سورة نوح).

بين يدي الكتاب

إنما دفعني للكتابة في هذا الموضوع: ما لاحظته من الكثيرين الذين يريدون أن يعرفوا كيفية الذكر على هدي رسول الله دون اختراع أو ابتداع ، فيسلكوا السبيل القويم على صواب وهدى ، فسألت الله أن يوفقني للكتابة في هذا الموضوع ، عسى أن ينفع به كل سالك سبيل الرشد.

ولقد جُلت بعقلي ووجداني في كتاب الله الكريم وكتب السنة المطهرة، وخرجت منها بهذه الأحكام التي تتعلق بذكر الله جل شأنه.

عبد الحميد كشك

الــذِّكر: هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله – تبارك وتعالى – وتنزيهه وحمده، والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.

وقد أمر الله تعالى بالإكثار منه فقال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾** ﴾ (الأحزاب: 41 ، 42).

وأخـبر أنه يَـذكُر من يَـذكُره، فقال جل شأنه: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُـمْ** ﴾، وقال في الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني: فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** ».

وأنه – سبحانه – اختص أهل الذكر بالتفرد والسبق، فقال رسول الله ﷺ: « **سبق المـفردون** » قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: « **الذاكرون الله كثيرا والذاكرات** » رواه مسلم.

وأنَّـهم هم الأحياء على الحقيقة... فعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر: مثل الحي والميت** » رواه البخاري.

والـذِّكر رأس الأعمال الصالحة: مَنْ وُفِّقَ له فقد أُعطى مَنشور الولاية، ولهذا كـان رسـول الله ﷺ يـذكر له على كل أحيانه، ويوصي الرجل الذي قال له: إن شرائع الإسلام قد كثُرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فيقول له: «**لا يزال فوك – فمك – رطبا من ذكر الله** ».

ويقول لأصحابه: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله** » رواه الترمذي وأحمد والحاكم.

والذكر سبيل النجاة ... فعن معاذ – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: « **ما عمل آدمي عملا قط أنجى –من عذاب الله من ذكر الله – عز وجل** » رواه أحمد.

وقال أيضا: « **إن ما تذكرون من جلاله – عز وجل – من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش، لهن دويٌّ كدويِّ النحل، يذكرون لصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به** ».

فذكر الله في الحقيقة استحصال عظمة الله – تعالى – وجلاله وكماله استحضاراً قلبياً يبعث على الخشية والمراقبة، ولا بد أن يكون الذكر مصحوبا بالفكر، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾** ﴾ (آل عمران: 190 ،191).

وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يذكروه كثيرا، فقال عز من قائل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾** ﴾ (الأحزاب: 41).

وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ « **سبق المفردون، قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**».

قال النووي في بيان الذكر الكثير: لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله نائما وقاعدا ومضطجعا أي على كل حال في حركاته ومشيه وسكونه ونومه، ومعنى ذلك أن يستحضر عظمة الله وجلاله وكماله في جميع شئونه كما أخبر بذلك الصادق الأمين ﷺ وهو يجيب على سؤال جبريل: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وليس الذكر قاصرا على تحريك الألسنة والشفاه، إنما الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين البكاء، وذكر الأذنين الإصغاء، وذكر اللسان الثناء، وذكر اليدين العطاء، وذكر البدن الوفاء، وذكر الروح الخوف والرجاء، وذكر القلب التسليم والرضاء.

وقد أمر الله – جل ذكره – بأن يُذْكَرَ ذكراً كثيراً، ووصف أولي الألباب الذين ينتفعون بالنظر في آياته بأنهم:

﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ (آل عمران: 191).

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥ ﴾

(الأحزاب: 35).

وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.

وسُئل ابن الصلاح عن القَدْر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، فقال: إذا واظب على الأقوال المأثورة صباحا ومساء، في كل الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا، كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في هذه الآيات قال: إن الله – تعالى– لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ (النساء: 103).

بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال.

والذكر يشمل كل الطاعات. قال سعيد بن جبير: كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله. وأراد بعض السلف أن يُخَصَّصَ هذا العام فَقَصر الذكر على بعض أنواعه،

منهم عطاء حيث يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق، وتحج، وأشباه ذلك.

وقال القرطبي: مجلس ذكر يعني مجلس علم وتذكير وهي المجالس التي يذكر فيها اسم الله وسنة رسوله وأخبار السلف الصالحين وكلام الأئمة الزُّهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع والمنزَّهة عن المقاصد الردية والطمع.

* * *

فضل الإكـثار من ذكـر الله

أرشد الله عباده إلى الإكثار من ذكره ... كذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة مبينة ما أعده الله للذاكرين من أجر عظيم، وفضل عميم.

جاء في الحديث القدسي قوله تعالى: « **لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملإ إلا ذكرته في الملأ الأعلى** » .

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ : « **إن الله – عز وجل – يقول: أنا مع عبدي، إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه** » رواه ابن ماجه.

والمعية هنا: دليل التكريم الإلهي، والرفعة الربانية للعبد الذاكر، وكفى بمعية الله شرفاً وقدراً.

ها هو ذا معاذ بن جبل – رضي الله عنه – يحدثنا فيقول: « **إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله** ».

وتعال معي أخي المسلم لنطوف هذه الطوفة المباركة، ونلقي بنظرة على رجل رآه سيد المرسلين ﷺ ليلة المعراج وقد نال من الرفعة المكانة القصوى.

يقول ﷺ: « **مررت ليلة أُسْرِيَ بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم يستسب لوالديه** » رواه ابن أبي الدنيا.

وقد بلغ من مكانة الذكر عند الله تبارك وتعالى أنه قرنه بأصول الدين، فجمع بينه وبين الوحدانية والصلاة والصوم والصدقة.

جاء في حديث جامع وشامل أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله أوحى إلى يحي بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم، فقال: يا أخي لا تفعل فإني أخاف**

إن سبقتني بهن أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّب. قال: فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم، فقال: إن الله أوحى إليَّ بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن: أولهن: لا تشركوا بالله شيئا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ ثم أسكنه داراً فقال: اعمل وارفع إلي، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يُقبِل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت. وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صِرَّة مِسْك كلهم يُحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه. وأمركم بذكر الله كثيرا، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سِراعا في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد: لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى » رواه الترمذي.

أرأيت إلى البراعة في التشبيه، وإلى عُلُوِّ الطبقة في التصوير، وكيف ضرب الحديث لكل ركن من هذه الأركان صورة مجسمة محددة المعالم حتى وصل إلى الحصن الحصين والركن الركين، وهو ذكر الله؟

لقد جاء في هذا الحديث وصف الذكر على أنه حصن ... وحصن من أي شيء؟ من الشيطان، وهل هناك حصن أقوى من هذا الذي يَقِي صاحبه ويحميه من كيد الشيطان: إنسيا أو جنيا؟

قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ **ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ** ﴾ (آل عمران: 135).

وليس هناك شك في أن العبد الذي يستحضر عظمة الله في قلبه، ويراقب هيمنة سلطانه الأعلى على نفسه لا شك أنه عبد محفوظ بالعناية.

قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾** ﴾

(الأعراف: 200 ، 201).

هذا، وقد جاء في الحديث الشريف ما يفيد أن الذكر أحد أربعة أشياء يقوم عليها خير الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: « **أربع من أُعطِيَهُن فقد أُعطى خَيْرِي الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوباً[1] في نفسها وماله** » رواه الطبراني.

---

(1) حوباً: أي إثما

ورُوي عن معاذ – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ أن رجلا سأله فقال: « **أي المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله – تبارك وتعالى – ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: أكثرهم لله – تبارك وتعالى – ذكرا، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص، ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: أجل** » رواه أحمد والطبراني.

لقد دَلَّ هذا الحديث الشريف على أن معيار التفضيل: هو كثرة الذكر مقترنا بالعبادة، فكلما كثر ذكر العبد مع أداء الفريضة ازداد فضلاً واغتنم خيراً.

وها هي ذي صحابية جليلة: أم أنس بن مالك – رضي الله عنهما – تسأل رسول الله ﷺ الوصية، فيوصيها بهذه الأشياء... قال لها: « **اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثري من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره** » رواه الطبراني.

فإياك يا أخي والغفلة عن ذكر الله، واحذر أن تفوتك ساعة تكون فيها غافلا عن ذكره – تبارك وتعالى – فقد روى معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « **ليس يَتَحَسَّر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله – تعالى – فيها** » رواه الطبراني.

* * *

فضل مجــالس الــذكر

رغَّب الإسلام في الإجتماع على ذكر الله تعالى في صورة تليق بجلال الذكر، ولا تخرج عن حدود ما رسمه الشرع الحكيم في قوله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: 205).

ومجالس الذكر تغشاها الرحمة، وتنزِل بأصحابها السكينة، وتحف بها الملائكة المكرمون. جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: « **إن لله ملائكة، يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم – وهو أعلم بهم – ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله يا رب، ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون:لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: فيقول:فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً،وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فَمِمَّ يتعوَّذون؟ قالوا: يتعوَّذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أُشهِدُكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** » رواه البخاري.

هذا، وقد خرج النبي ﷺ ذات يوم على حلقة من أصحابه، فقال: « **ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا، قال: والله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم أستحلفكم تُهْمِة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله – عز وجل – يُباهي بكم الملائكة** » رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: « **يقول الله – عز وجل – يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم، فقيل: ومَنْ أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر** » رواه أحمد.

لقد بلغ من مكانة الـذكر في قلوبهم أنهم كانوا يجعلونه بمثابة الإيمان، وينزلونه منزلة الإيمان.

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة. فقالها ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة يَرْغَب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال ﷺ: « **يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة** » رواه أحمد.

وعنه أيضا – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: « **ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله – عز وجل – لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفورا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات**» رواه أحمد

ورُوِيَ عن أنس – رضي الله – أيضا عن النبي ﷺ قال: « **إن لله سَيَّارَةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء، إلى رب العزة – تبارك وتعالى – فيقولون: ربنا أَتَيْنا على عباد من عبادك يُعظِّمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول الله تبارك وتعالى: غَشُّوهم رحمتي، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » رواه البزار.

وقد مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن رواحة، وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: « **أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم، ثم تلا هذه الآية:** ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾(**الكهف: 28**). **أما إنه ما جلس عِدَّتكم إلا جلس معهم عِدَّتهم من الملائكة: إنْ سبَّحُوا الله – تعالى – سبَّحوه، وإنْ حَمِدوا الله – تعالى – حَمِدوه، وإن كَبَّروا الله – تعالى –كَبَّروه، ثم يَصعَدُون إلى الرب – جل ثناؤه – وهو أعلم بهم، فيقولون: يا ربنا: عبادك سبَّحوك فسبَّحنا، كبَّروك فكبَّرنا، وحَمِدوك فحَمَدنا، فيقول ربنا جل جلاله: يا ملائكتي أُشهدكم أني قد غفرت لهم** ».

وقال رسول الله ﷺ: « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حِلَق الذكر، فإن لله تعالى سِيَّارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم** ».

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهِدا على رسول الله ﷺ أنه قال: « **لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده** ».

* * *

آداب الـــذكر

أما وقد علمنا فضل مجالس الذكر والاجتماع عليه، فإنه ينبغي أن نعلم أمورا خاصة بمراعاة الذكر.

والمقصود من الذكر: تزكية الأنفس، وتطهير القلوب، وإيقاظ الضمائر. وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (العنكبوت: 45).

أي أن ذكر الله في النهي عن الفحشاء والمنكر: أكبر من الصلاة، وذلك أن الذاكر حين ينفتح لربه جِنانُه، ويلهج بذكره لسانُه، يُمّده الله بنوره، فيزداد إيمانا إلى إيمانه، ويقينا إلى يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(الرعد: 28).

وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه، دون أن تُلفتَه عنه نَوازِع الهوى، ولا دوافع الشهوة... ومن ثَمَّ: عَظُم أمر الـذكر، وجل خطره في حياة الإنسان.

ومن غير المعقول أن تَتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يَلفِظه اللسان، فإن حركة اللسان قليلة الجدوى، ما لم تكن مواطِئة للقلب وموافقة له.

وقد أرشد الله – تبارك وتعالى – إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: 205).

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أنه يُستحَب أن يكون الذكر سـرا لا تـرتفع به الأصوات.

وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال: « **يا أيها الناس: اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذين تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ...** ».

كما تشير أيضا إلى حالة الرغبة والرهبة التي يَحْسُنُ بالإنسان أن يتصف بها عند الذكر.

كذلك من الأدب: أن يكون الذاكر نظيف الثوب، طاهر البدن، طيب الرائحة... فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطاً.

والأفضل أن يستقبل القبلة، فإن خير المجالس: ما استقبل به القبلة.

وللذكر آداب يجب مراعاتها، اجتمعت هذه الآداب في قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: 205).

إذ أن خشوع القلب متوقف على خشوع الجوارح، فيُستحَب لذاكر الله أن يجلس مستقبلا القبلة كهيئة التشهد في الصلاة، وأن يستحضر عظمة الله تعالى حتى يكون بين اللسان والقلب توافق وتجاوب فيخشع القلب ويصدق اللسان.

روي عن عطاء رضي الله عنه: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾.

وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعا، كُتِبا في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات** » هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم.

* * *

أنـواع الـذكر

ومـن تَتَّبع الكتاب والسنة وُجِد ما يلي:

أن الذكر يتمثل بثلاث نواحٍ:

1- نــاحية عامة: وهي استحضار نية العمل لـوجه الله في كل ما يفعله المسلم، وذلك ذكر.

2- ناحية أساسية: هي الصلاة فروضها وسننها، وبدونها لا يكون الإنسان ذاكرا، وبإكمالها يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

3- ناحية متمِمَّة: وهي الأذكـار المأثورة باختلاف الأحـوال والحـالات والأوقـات و المناسبات.

- أما الناحية الأولى وهي استحضار النـيَّة فإن نية المرء تُعتبر عبادة ما دام ينوي بعمله وجه الله تعالى والتقرب إليه، ولذا قال ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** ». **وقال**: « **إذا أنفق المسلم على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة** ».

فإذا تحولت النية من الخير إلى الشر، وعزم صاحبها على تنفيذ ما نوى فإن الله يحاسبه على عزمه وتصميمه. وهذه الآيات البينات تبين لنا تلك القضية:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾
فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ
﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ
إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

. (القلم: 17- 30).

- وأما من الناحية الثانية، وهي الصلاة: فإن الصلاة كلها ذكر، لذلك قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي** ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الجمعة: 09).

وبمقدار مـا يحسن الإنسان فيها يكون ذاكرا، وبمقدار ما يسيء أو يقصر يكون غافلا. قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ ﴾ (النساء: 143).

ومن تأمل الصلاة وجد أن دعـاء الافتتاح فيها ذكر، وفي القيام ذكر، وقراءة القرآن ذكر، وفي الركوع ذكر، وفي القيام منه ذكر، وفي السجود ذكر، وفي القعدتين ذكر، وأورادها الراتبة بَعْدَها ذكر.

فإذا ما أدى الإنسان الصلوات كلها فرائضها، وسننها، وما سنَّ له فيها، وبعدها، وقبلها فإن ذلك وحده يجعله من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. وقد روي عن النووي ما يشير إلى ذلك.

فإذا مـا أقام فريضة الصبح ونـافلتها بين الفجر والشمس، وأقام سنة الضحى بين الشمس والزوال، وأقام سنة الظهر القبلية، وفريضة الظهر وسنتها البعدية بين الزوال والعصر، وأقام صلاة العصر في وقتها، والمغرب وسننها كذلك، والعشاء وسننها، ثم القيام والتهجد والوتر، كـان لا شك من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

قـال عليه السلام: « من قام بعشر آيات لم يُكتَب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِب من المقنطرين ».

- وأما من الناحية الثالثة، وهي الأذكار المأثورة: فإنه يُسن للمؤمن أن يذكر الله على كل حال، فقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحواله. وهذا الباب ليس فيه تحديد، بل على المسلم أن يذكر الله بشكل مطلق ولا يزال لسانه رطبا من ذكر الله.

قـال ﷺ: « جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من ذكر لا إله إلا الله ».

وقال مولانا تبارك اسمه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النور: 36،37).

ومما يجب التنبيه عليه أن المسلم يختار الأمر الوسط دون إفراط أو تفريط، وهـذه سنة الإسلام في تشريعاته لا يعرف الإسراف ولا التقتير ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾. (الفرقان: 67).

ولذا فإن الله سبحانه يأمر بذكره بالكيفية التي لا تُعَطِّل مصالح العباد وقضاء حوائجهم، وتفريج كروبهم وإغاثة ملهوفهم، وفي الوقت نفسه فإن الإسلام ينهى عن الغفلة، ويوصي بأن يَظَل القلب حاضرا مع الله، يغذيه اللسان بذكر الله. قال ﷺ: « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ».

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

(الرعد:28).

قال ﷺ: « **ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبي إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم** ».

وقال ﷺ: « **ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا كان عليهم تِـرَّة، وما من رجل يمشي طريقا فلم يذكر الله – عز وجل – إلا كان عليه تِرة** ».

ومن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أنه لا يكلفهم بما لا يطيقون، ولم يشق عليهم فيما أمرهم به، فقد وردت في الذكر صيغ جامعة موجزة في مبناها، عظيمة في أجرها وثوابها لمن ذكر الله بها.

عن جويرية أم المؤمنين – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: « **ما زلت اليوم على الحالة التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، فقال: النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهُنَّ: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته** ». رواه مسلم

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال حين يصبح:** ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

(الروم: 17،18). أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته » رواه أبو داود.

وهناك أذكار رأينا في ذكرها التسهيل على العباد حتى لا يُحرموا من ذلك الخير العظيم والبركة والفضل.من هذه الأذكار:

- ❖ الاستغفار، وهو أن يقول العبد: أستغفر الله، أو أن يقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فإن من قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عتق عشر رقاب وكُتِبت له مائة حسنة، ومُحِيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه.
- ❖ وكلنا نعلم أن هناك كلمتين خفيفتين على اللسان ولكنهما ثقيلتان في الميزان وهما: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.
- ❖ كما لا يفوتنا أن نذكر وصية الخليل إبراهيم التي قالها للنبي ليلة المعراج: « يا محمد اقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قِيعان وغِراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ».
- ❖ قال ﷺ: « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة».

* * *

الـــذكرُ شُكرٌ

إعلم بأن الذكر والشكر قرينان متلازمان. جاء في الحديث القدسي الجليل: « يا ابن آدم، إنك إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني ». وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾ (البقرة: 152).

عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك؟ قال له ربه: « تذكرني ولا تَنسَنِي، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني ».

قال الحسن البصري، وأبو العالية، والسدى، والربيع بن أنس: « إن الله يَذكُر من يَذكُره، ويزيد من شكره، ويعذب من كَفَرَه ».

وقال بعض السلف في قوله تعالى:﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (آل عمران: 102). قال: أَنْ يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

وذكر ابن أبي حاتم: عن مكحول الأزدي قال: قلت لابن عمر: « أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله، وقد قال الله تعالى:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾؟ قال: إذا ذكر الله هنا، ذَكَره الله بِلعنته حتى يسكت» .

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال: « اذكروني فيما افترضت عليكم، أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي ».

وعن سعيد بن جبير« اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي » وفي رواية « برحمتي ».

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال: « ذكر الله إياكم أكبر من ذِكْرِكم إياه » وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى: « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ».

وروى الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله عز وجل: يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة – أو قال: في ملأ خير منه – وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي أتيتك هـرولة** » صحيح الإسناد أخرجه البحتري من حديث قتادة، وعنه قال قتادة: « الله أقرب بالرحمة ».

وقوله: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ أمر الله تعالى بشكره... ووعد على شكره بمزيد الخير فقال:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

(إبراهيم: 7).

وروى الإمام أحمد: عن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خَزٍّ لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: « **من أنعم الله عليه نعمة، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه** » وقال روح مرة: « **على عبده** ».

قُـــم في الدُّجـــى أيهـــا المتعبِّــد ... حتَّـــى مـــتى فـوق الأَسِـرَّة ترقـد
قُمْ، وادْعُ مولاك الذي خلقَ الدُّجَـى ... والصبحَ، وامْضِ فقد دعاك المسجدُ
واستغـفرِ اللـه العظيـم بـذِلَّـــــةٍ ... واطلـبْ رضـــاه، فإنـــه لا يحقدُ
واندمْ على ما فات، واندبْ ما مضى ... بالأمس، واذكر ما يجيء بـه الغَـدُ
واضْرَع وقـل: يـا رب عفـوك إننـــي ... من دون عفوك ليس لي مـا يَعْضـد
أسفـا على عمـري الـذي ضيــعتـه ... تحت الذنـوب، وأنت فوقي ترصـد
يــا رب! لم أحسـب مـرارةَ مـصدر ... عـن زِلَّـة، قـد طـاب فيهـا المَوْرِدِ
يــا رب! قــد ثـقُلَـت علَـيَّ كبـائر ... بـإزاء عيــني ، لــم تــزل تتــردد
يــا رب! إن أُبْـعِدت عنك فـإن لي ... طمعــا بــرحمتــك التي لا تبعـــد
يــا رب! مـا لي غير لطفك ملجـأ ... ولعـلني عــن بـــابـــه لا أُطْـــــرد
يــا رب! هـــب لي تـوبةً أقضي بها ... دَيْناً عليَّ بــه جـلالـك يشهـــد
أنـــت الخـبير بحـــال عبـدك إنــه ... بسلاســل الـوزر الثَّـقيــل مُـقَـيَّد

أنــت المجيــب لــكل داعٍ يلتجئ		أنــت المجيــر لـكـل مــن يستنجد

مِـن أي بحــرٍ غيــر بحرك أستقي؟		وَلأي بـاب غيـر بـابــك نَقْصِـد؟

وإذا كان الشكر لله يتحقق في ذكرنا له، فإن القلب الذاكر لربه شاكر له، وله مواصفات. فمن مواصفات القلب الذاكر: أنه قلب ربَّـاني، إذا أحب أحب لله، وإذا أبْغَض أبْغَض لله، وإذا أعطى أعطى لله، وإذا مَنَع مَنَع في الله، فكل أحواله لله.

قال ﷺ: « **من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان** ».

* * *

الحب في الله ثمرة من ثمرات الذكـر

ولما كان الحب في الله أساسا لكل خير وتعاون على كل بِـر، وإخلاصاً في كل شيء، ووفاءً صافياً، فإننا نسجل هنا كلمة عن الحب في الله فنقول:

الحمد لله الذي ألَّف بين قلوب المؤمنين فأصبحوا بنعمته إخوانا، والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي ضرب للمؤمنين المثل الأعلى في الأخـوة والوفـاء، حتى أن كل صحابي من صحابته الكرام كان يشعر أنه أقرب الناس إلى الرسول الكريم ﷺ وأحب الناس إلى قلبه العظيم.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: « **إن المحبة لله هي الغـاية القصوى، والـذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة أمرُ إلَّا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشـوق والأنـس والـرضاء وأخواتها، ومـا قبل المحبة مقامٌ إلَّا وهـو مقـدمة من مقدماتها: كالتوبة والصبر والزهد وغيرها** ».

وأما محبة الله تعالى فقد عـز الإيمان بها، ولا معنى لها إلا بالمواظبة على طاعة الله تعالى. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فـرض، والحب يُفَسَّرُ بِـالطاعة، فهي ثمرة له، فـلا بـد أن يَتَقَّدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب.

والله تعالى يقول: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ﴾

(آل عمران: 31).

ويقول أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

والرسول ﷺ يقول: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** » رواه أحمد.

وفي حديث آخر: « **لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين** » (متفق عليه).

وفي معرض التهديد والإنكار على المؤمنين سلوكهم المخالف للإيمان، يبين الله عز وجل مكانة حُب لله ورسوله، فيقول: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾** ﴾ (التوبة: 23،24).

ومـن ذلك تَبين لنا أن أصل الحب هـو لله عز وجل، وحب الرسول ﷺ هو من حب الله عز وجل، كما يتبين لنا أن الحب الناشئ بين العبد والعبد، إنما يقوم على أســاس الحب في الله.

ولقـد ورد في حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (باب مناقب الأنصار) ومسلم في الإيمان (باب الدليل على أن حب الأنصار- رضي الله عنهم – من الإيمان) عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه قـال في الأنصار: « **لا يُحبهم إلَّا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، مـن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**».

ويقول الـرسولﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (متفق عليه).

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن الإيمان لا يكون كاملا إلا إذا أحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، والمحبة في الله تَمزج الأرواح، وتُقَرِّب القلوب، فلا يخفى عن مسامعنا تلك القصة الشهيرة التي تظهر كيف تحول هذا الحديث الشريف إلى واقع في حياةِ مـن عرفوا الإسلام وطبقوه، حيث أهدى إلى أحد المسلمين رأس شاة فإذا بهذا المسلم يقول: إن أخي فـلانا أَحَقُّ بها مني، ثم ذهب وأعطاها له، وإذا بالثاني يقول: إن أخي فلانا أحق بها مني، وهكذا

حتى إلى سبعة من المسلمين، وعادت إلى الشخص الأول، وكان كل واحد منهم يعبر عن محبته لأخيه بِأن يؤثره على نفسه، حتى دارت هذه الصَّدقة دورتها على سبعة من المسلمين، وكل واحد منهم يؤثر الآخر على نفسه.

ثم القصة الثانية التي تُبَين لنا كيف يكون الحب للآخرين في حالة الموت، حيث أقبل الساقي بشربة ماء إلى أحد الجرحى في غزوة من الغزوات، فأشار إلى جريح آخر يؤثره بشربة الماء على نفسه، وهكذا أخذ الساقي ينتقل بين الجرحى حتى عاد إلى الأول، فوجده قد فارق الحياة، ثم إلى الثاني فوجده أيضا قد فارق الحياة، والثالث حتى آخرهم.

ولا تقتصر ثمرات المحبة قي الله على خير في الدنيا فقط، كأن يشعر المؤمن من تَحَلِّيه بهذه الصفة الجليلة بحلاوة الإيمان، كما أخبر بها رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: « **ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار** » (رواه البخاري).

هذا ولا تَقتصر ثمرات الحب في الله على الخير الذي يناله العبد من الدنيا، ولكنها تكون أوضح ما يكون يوم القيامة، ولقد وردت عدة أحاديث تبين فضل المتحابين وعُلُوِّ منزلتهم، وعظيم أجرهم. فنجد المتحابين في الله من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، كما أنهم يكونون يوم القيامة على منابر من نور، يَغْبِطُهم النبيون والصديقون والشهداء، فترى في وجوههم يوم القيامة نورا، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حَزِنوا.

ويكفيهم – كما ورد في الحديث الصحيح – محبة الله تعالى لهم، فقد ورد: « أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد اللهُ تعالى على الطريق ملكا، فلما أتى قال: من تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه نِعَمٌ تَمُنُّ بها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ».

إن من المتعارف عليه أن الناس قد فُطروا على محبة أشباههم الذين تَقْتَرب مُيُولهم من مُيُولهم، وطِبَاعهم من طباعهم، فكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يطير مع جنسه، وقد رأى مالك – رضي الله عنه – حمامة وغرابا مجتمعين فتعجب، وقال: اتفقا وليس من شكل واحد فلما طارا تبين أنهما أعْـرَجَان، فقال: من هنا اتفقا!

وقَد تَبَيَّن بالإختبار والتجربة أن الناس لا تَقُوم بينهم الصحبة، ولا تَنمو الأُلفة، ولا يتولد بينهم الحب إلا لوجود شَبَه في الطباع والعادات، فإن وُجِدَت الصُّحبَة ولم يُوجد إلى جانبها التَّشَابه، لم تلبث عَرَى هذه المحبة أن تَتفك، ولم يلبث الصاحبان أن ينفصلا.

إن الـذين التقوا في الحياة الـدنيا على المصالح والمنافع، تـراهم يـوم القيامة أعـداء لبعضهم البعض، أما الذين التقوا في الحياة الدنيا على محبة الله فيكونون يوم القيامة أصدقاء وأحباء والله يرشدنا إلى ذلك فيقول:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزخرف: 67).

وإذ كان العَرج يجمع بين الطائرين على اختلاف الفصيلة، فكيف لا يجمع الحب في الله بين المؤمنين؟

إن المحبة في الله تُرسي قواعد الحياة الإجتماعية الفاضلة السعيدة، التي يشعر فيها كل فرد من الأفراد بأنه لَبِنَة من بناء، وعضو من جسم، وجـزء من كل، فـواجبه أن يكون متجاوبا متعاوناً مع إخوانه في الله، يتحـابون ويتراحمون، ويحـرص كـل واحـد منهم على مصلحة أخيه.

وبذلك يتحقق قـول الرسول ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى لـه سائر الجسد بالسهر والحمى**» (متفق عليه).

ولا شك أن محبة الخير للغير كمحبة الخير للنفس فضيلة عزيزة المنال، تحتاج إلى رياضة ومجاهدة، ولايبلغ مرتبة التحلي بها على وجهها إلَّا الشخص المؤمن الذي يُطَهِّر قلبه من الغَلِّ والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات والطيبات كما تأكل النار الحطب.

ومن البديهي أنـه لا مَحَبَّةَ إلا بعد معرفة وإدراك، إذ إن الإنسان لا يُحِبُّ إلا ما يعرفه ويـدركه.

والمُدْركات تنقسم إلى ما يوافق طبع الإنسان المُدْرِك وما يُنَافيه، فكل مـا في إدراكه سعادة وراحة، فهو محبوب عند مُـدْرِكه. ولما كان الحب تـابعا للإدراك والمعرفة فبالتالي ينقسم الحب بانقسام المدركات والحواس، فلكل حاسة إدراك من المدركات.

وهناك الحـاسة السادسة، التي يُعبَّر عنها إما بالعقل أو النور أو القلب، فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكا من العين، وجمال المعاني المُدْرَكة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لهذا القلب بما يدركه مـن الأمور الشَّريفة الإلهية، الـتي تَجَلُّ عـن أن تدركها الحواس أَتَم وأبلغ، فيكون مَيْل الطبع السليم لها.

والمؤمن بالله مُتَوازن الشَّخْصية، تَلْمَحُ الاعتدال في سلوكه، وفي فكره، وفي شعوره. متـوازن لأن طاقته كلها تعمل وتأخذ نصيبها من الحياة، مُتوازن لا يَسْبَح في بُـرج عاجي من الأفكار والأحلام، ويترك الـواقع لأن قَوَّتَهُ الحـيوية تَرُدُّه عـن التحليق الفارغ، وتـوقِظه لِـواقع الحياة، مُتوازن لا يغرق في متـاع الأرض، ولا يَغـرق في عالم المادة

لأن روحه المتفتحة الطليقة تَنْشِلُهُ من هذه الوحدة، متوازن بما فيه من ثِقَله الطِّينِي، فهو يستمتع بطيبات الحياة دون تكالب عليها، وهو على استعداد دائم للتخلي عنها إذا دعا إلى ذلك داع من دواعي الجهاد في سبيل الله.

المُحِبُّ شخص متوازن، لا تستطيره كل نظرية جديدة يسمعها، حتى يزنها بميزانه، ويَتَثَبَّت لِمَا فيها من الحق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء:36).

ولكنه أيضا لا يجمد على كل قديم عِنده، فالجمود ليس من الإيمان، والاعتراف بنعمة الله تقتضي إعمال الفكر الذي وهبه الله للإنسان للتدبر والمعرفة، ومن الواجب أن يبحث الإنسان عن الحق ويتبعه حالما يَثْبُت له أنه حق، وهو بمقتضى إيجابيته وفاعليته شخص استقلالي النـزعة، استقلالي بمعنى أنه شَاعِر بوجوده ووزنه في الحياة، وعامل بمقتضى ذلك الشعور، وهو لا يشعر بأهميته بِوصفه فلانا ابن فلان، المعتز بماله من الحسب والنسب والقوة والمال، وإنما يشعر بأهميته لأنه مؤمن، مهتد إلى القوة الحقيقية في هذا الكون، ومعتز بهذا الإيمان، وهذا الهدي يجعله قوة كونية فاعلة، ومن هنا يحس بقدرة الإيمان الحقيقي، ويقدر أهميته بهذا الميزان.

وحينئذ يكون استقلالي النـزعة، لأنه يحس أنه لا يستمد وجوده من أسرة، ولا من وظيفة، ولا من مجتمع، ولكن من ذاته المهتدية بالله، والمحبة لَهُ وَفِيهِ، وهو مع استقلاله بكيانه المنفرد شخص اجتماعي إلى أبعد الحدود، حيث ما رُكِّب في طبع المؤمن من التعاون على البر والتقوى يقتضي بطبيعته الاجتماع بالناس،ليس معنى ذلك أن يزعجهم برفع الحواجز كلها، أو برفع التكاليف حيث أن الإيمان تهذيب للأخلاق، هذا التهذيب قد جعل منه شخصا حساسا، صاحب ذوق، لا يجعل من حبه للناس ذَرِيعة لإزعاجهم وإقلاق راحتهم.

وليس طلب الوعد والمحافظة على الاستئذان للزيارة إقامة للحواجز، وتعطيلا للمودة، بل هي حرص على المودة أكبر، وإيثار للناس بالراحة، ومنطق الحب ليس إلا الإيثار.

ومن المستحبات: استحباب إعلام الرجل من يحبه أنه يحبه. وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة، يستفاد منها أن المسلم إذا أحب أخا له في الله، فعليه أن يخبره، فقد ورد في سنن أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ قال:« **إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه**» قال الترمذي: هذا حديث صحيح

كما ورد في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: « **أَأَعْلَمْته** »؟ قال: لا، قال: **أَعْلِمه** فَلَحِقَه فقال له: إني أحبك في الله، فقال: أَحَبَّكَ الله الذي أحببتني فيه

وفي سنن أبي داود والنسائي عن معاذ بن جبل أن الرسول ﷺ أخذ بيده وقال: « **يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** ».

ومن هذا الحديث يتضح أن الذي يحب إنساناً، يحب له الخير، ويدله على طريق الخير، كما يخبره أنه يحبه.

* * *

(فضل الذكر والدعاء – م3)

اذكر الله ولا تنس المــوت

القلب الشاكر قلب ذاكر لله، ولا ينسى لقاءه، لأنه يعلم أنه من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

يَا نَفسُ تُوبِي، فَإنَّ المَوتَ قَدْ حَانَا ... وَاعْصِ الهَوَى، فَالهَوَى مَازَالَ فتَّاناً
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَيِّتٌ نُشَيِّعُهُ ... نَنْسَى بمَصْرَعِهِ آثَارَ مَوتَانَا
يَا نَفْسُ مَا لِي وَلِلأَمْوَالِ أَكْنِزُهَا ... خَلفِي، وأَخرُج مِن دُنيَايَ عريَاناً
مَا بَالنَا نَتَعَامَى عَنْ مَصَارِعِنَا ... نَنسَى بِغَفْلَتِنَا مَن لَيْسَ يَنسَانَا
فَكَم رَأَيْنَا أُنَاساً صَالِحِينَ قَضَوا ... مَوتاً وَقَدْ سُلِبُوا دِيناً وَإيمَاناً
وَاسْتَبْدَلُوا الكُفْرَ بِالإيمَانِ، وَانْفَصَلُوا ... بِسُوء خَاتِمَةٍ للمَوْتِ أَعيَاناً
أَبَعْدَ خَمْسِينَ قَدْ قَضِيتهَا لَعِباً ... قَدْ بَانَ تَقصِيرُهَا قد بَانَا
أَيْنَ المُلُوكَ وَأَبْنَاءَ المُلُوكِ وَمَنْ ... كَانَت تَخِرُّ لَهُ الأَذقَانُ إذعَاناً
صَاحَتْ بِهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ، فَانْقَلَبُواْ ... مُستَبدِلِينَ مِنَ الأَوْطَانِ أَوطَاناً
أَخْلُوا مَنَازِلَ كَانَ العِزُّ مَفْرِشُهَا ... وَاسْتَفرَشُوا حُفَراً غُبراً، وَقِيعَاناً
يَا رَاكِضاً فِي مَيَادِينِ الهَوَى مَرِحاً ... وَرَافِلاً فِي ثِيَابِ الْغَيِّ نَشْوَاناً
مَضَى الزَّمَانُ، وَوَلَّى الْعُمْرُ فِي لَعِبٍ ... يَكفِيكَ مَا قَدْ مَضَى، قَدْ كَانَ مَا كَانَا

وعن حمزة بن عبد الله قال: شهدت أبا بكر الشاشي عند موته فقلت له: كيف حالك؟ قال: كسفينة تدور على الغرق، فلا أرى أأنجو بالسلامة، وتأتي الملائكة بالبشارة: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴿٣٠﴾ ﴾؟(فصلت: 30) أم تغرق السفينة، وتأتي الملائكة تقول:﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾؟

(الفرقان:22).

أي بُعداً بُعداً، فلا تصلح لنا يا خبيث، يا عاصي ابْكِ على ظلام قلبك، فإنه يضيء، إذا بكى السحاب على الربى تبسمت. ويحك! يقول أنا تائب وتتوقف انهض وبادر فتلاف خيرا فات، إذا صدق التَّائب في توبته، أَنْسَ الله كَاتِبَيْه مَا كَتَبَا، وأوحى الله تعالى إلى الأرض: أن اكْتُمِي على عبدي.

يا رب قد تبت، فاغفر زلتي كَرَما	وارحم بعفوك من أخطأ ومن ندما
لا عُدْتُ أفعل ما قد كنت أفعله	عمري فخذ بيدي، يا خير من رحما
هذا مقام ظلومٍ، خائفٍ، وجِلٍ	لم يظلم الناس، لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا	واغفر ذنوب مسيء، طالما اجْترما

واعلم يا ابن آدم أن الشيطان راصد يرصد جميع المقاصد: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ (النساء: 71).

لا تسمعوا قوله فإنه كذاب أشِر، ولا تقبلوا نُصْحه فإنه غشاش، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

واعجبا لمن كـان في ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة؟ يا ابن آدم إنما طَرَدنا إبليس لأنه لم يسجد لأبيك، فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا!؟:

لا عذر لي، قد أتى المشيب	فليت شعري، متى أتوب؟
إبليس قد غرني ونفسي	ومسني منهما اللغوب
إذا انقضى للشقاء ذنب	تجددت بعده ذنوب
ومن ورائي حلول قبر	ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا	أتاني رسول ربي بما أجيب
أم أنـا يوم الحساب ناج	أم لي في ناره نصيب؟
يا رب جد لي على رجائي	بمنة منك، لا أخيب

ويُروى أن أخوين كان أحدهما عابدا، والآخر مسرفا على نفسه، وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس في محرابه، فتمثل له يوما وقال له: يا أسفا عليك! ضيعت من عمرك أربعين سنة في حصر نفسك وإتعاب بدنك، وقد بقي من عمرك مثل ما مضى، فأطلق نفسك في شهواتها وتلذذ، ثم تب بعد ذلك وعد إلى العبادة، فإن الله غفور رحيم. فقال العابد: أَنْـزِلُ إلى أخي في أسفل الدار وأُوَافِقُه على الهوى واللذات عشرين سنة، ثم أَتُوبُ وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري. فنزل، وقال أخوه المسرف على نفسه: قد أفنيت عمري في المعصية، وأخي العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار، والله لأتوبن وأصعد إلى أخي وأوافقه في العبادة ما بقي من عمري، فلعل الله يغفر لي، فطلع على نية التوبة، ونزل أخوه على نية المعصية، فزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعا في السلم، فحشر العابد على نية المعصية، وحشر المسرف على نية التوبة.

فيا أيها المسلمون، فـرّغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجري في الليل والنهار، كم من بعيد قَـرُبَ، وكم من قريب بَعُدَ، جفاه الأهل والجار وكان حظ الأول الجنة، وحظ الثاني النار، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

ندم العابد على تغيير نيته بلا شك وخاف، وبكى على تفريطه بعد عبادته إذْ زل وهفا، يود لو أن صافي وِدِّه يُـرد ويرجع إلى الوفا، وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

أناس أعرضوا عنا ... بلا جرم، ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا ... ولا هم أحسنوا الظنا
فإن عادوا لنا عدنا ... وإن خانوا، فما خنا
وإن كانوا قد استغنوا ... فإنا عنهموا أغنى

إذ قال العبد: يا رب قد أذنبت. قال له الله: يا عبدي، وأنا قد سترت.

فـإذا قال العبد: يا رب، قد تبت. قال له الله: يا عبدي وأنا قد قبلت.

سبحانك ربي، ما أكرمك!

مـا أحلمك! مــــا أرحمك!

تهب الكثير، و تجبر القلب الكسير.

لو يعلم المدبرون عنك،كيف انتظارك لهم، ورفقك بهم، وشوقك لتركوا ذنوبهم، لماتوا شوقا إليك، ولتقطعت أوصالهم من محبتك، إذا كان هذا شأنك بالمدْبرين عنك، فكيف يكون شأنك بالمقبلين عليك؟

سُبحَانَكَ مَنْ خَلَقَ الأَشْيَاءَ مُقْتَدِراً ... وَ مَنْ يَجُودُ عَلَى العَاصِي وَيَستُـرُهُ
يُخفِي القَبِيحَ، وَيُبْـدِي كُـل صَالِحَةٍ ... وَيُغمِرُ العَبْــدَ إحسَاناً، وَيَشْكُـرُهُ
وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ لِلْعَاصِي، وَيَـقْبلُـهُ ... إِذَا أَنَـابَ، وَبِـالغُفْـرَانِ يَجْبُـرُهُ
وَمَـن يَلُـوذُ بِـهِ فِي دَفْـعِ نَـائِبَةٍ ... يُعطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ عِزّاً، وَيَنصُـرُهُ
وَلاَ يُـضِيّعُ مِثْـقَـالاً لِمُـجْتَهِـدٍ ... بَـل فِي المـآلِ يُرْبِيـهِ، وَيـدخِـرُهُ
وَمَن يَكُنْ قَلْبُـهُ بِالذَّنْبِ قَدْ دَنسَا ... فَـبِـالمدَامــعِ وَالتَّقْـوَى يُطَهِّـرُهُ
وَلَيْسَ لِلْعَبْـدِ تَصْـــرِيفٌ، وَإِنَّ لَهُ ... مَولاَهُ، إِن شَاءَ يُغنِيهِ وَيُفقِـرهُ
فَلاَ حَـذَرَ يُنــجِي الْـعَبْدَ مِنْ قَدَرٍ ... يُـرِيـدُهُ اللهُ، أَو أَمـرٍ يُدَبـرُهُ
فَنَسْــأَلُ اللهَ حَـقّاً حُسْـنَ خَــاتِمَةٍ ... عِندَ المَمَاتِ، وَصَفواً لاَ يـكـدِرُهُ

قال ﷺ:" **إنما الأعمال بالخواتم** " فنسأل الله حسن الخاتمة .

قال منصور بن عمار رحمة الله عليه: كان لي أخ في الله يَفتقدني، و يزورني في شدة و رخاء، و كنت أراه كثير العبادة و التهجد و البكاء، ففقدته أياما، فقيل لي: هو ضعيف، فسألت عن داره فأتيت الباب فطرقته فخرجت إليّ ابنته، فقالت: من تريد ؟ فقلت: فلانا ، فدخلَت، واسْتَأذنَت لي ثم عَادَت وقالت لي: أدخل، فدخلت فوجدته وسط الدار وهو مضطجع على فراش، وقد اسْوَدَّ وجهه، وازرقت عيناه، وغلظت شفتاه، فقلت له و أنا خائف منه: يا أخي، أكثر من قول لا إله إلا الله، ففتح عينيه ونظر إليّ شذرا و غشي عليه فقلت له ثلاثا: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ولئن لم تقلها لا غَسَّلتك، ولا كَفَّنتك ولا صليت عليك، ففتح عينيه وقال: يا أخي، يا منصور، هذه كلمة حيل بيني و بينها، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت له يا أخي أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟ فقال: يا أخي، كل ذلك كان لغير وجه الله، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني و أُذْكَرَ به، و كنت أفعل ذلك ريَّاء للناس، فإذا خلوت بنفسي، أغلقت الباب، و أرخيت الستور، وشربت الخمور، و بارزت ربي المعاصي، ودمت على ذلك مدة، فأصابني مرض أشرفت فيه على الهلاك، فقلت لإبنتي هذه: ناوليني المصحف ففعلت، فأخذته أقرأ فيه حرفا حرفا حتى بلغت سورة يس، فرفعت المصحف وقلت: اللهم بحقّ هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني، وأنا لا أعود إلى ذنبي أبدا، ففرج الله عني، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو و اللذات، والزهو، وأنساني الشيطان العهد الذي كان بيني و بين ربي، و بَقِيت على ذلك مدة من الزمان، فمرضت مرضا أشرفت فيه على الموت، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار على عادتي، ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه، ثم رفعته وقت: اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم من كلامك القديم إلا ما فرّجت عني، فاستجاب الله مني و فرّج عني، ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغي، فوقعت في هذا المرض فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما تراني، ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه، فلم يَتَبيَّن لي فيه حرف واحد، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب علي، فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عني يا جبار الأرض و السماء، فسمعت هاتفا يقول، ولم أر شخصه:

تَتُوبُ مِن الذُّنوبِ إذا مرِضتَ	وَتَرجِعُ لِلذُّنُوب إذَا بَرِئْتَا
إذا مَا الضُّرُّ مَسَّك أنتَ بَاكٍ	وَأَخبَثُ مَا يكُونُ إذَا قَوِيتَا
فَكَمْ مِن كُربةٍ نَجّاكَ مِنهَا	وَكَم كَشَفَ البَلاَءُ إذَا بُلِيتَا
وَكَم غَطاكَ فِي ذَنبٍ وَعَنهُ	مَدَى الأَيَّامِ جَهراً قَد نُهِيتَا
أَمَا تَخْشَى بِأَنْ تَأتِي المنَايَا	وَأَنتَ علَى الخَطَايَا قَد دهِيتَا
وَتَنسَى فَضلَ رَبٍّ، جَادَ فَضلاً	عَلَيكَ وَلاَ ارْعَوَيتَ، وَلاَ خَشِيتَا
وَكَم عَاهَدتَ ثُم نَقَضتَ عَهداً	وَأَنتَ لِكُلِّ مَعْرُوفٍ نَسِيتَا
فَدَارِكْ قَبلَ نَقلِك عن دِيَارِك	إلَى قَبرٍ إلَيهِ قَد نُعِيتَا

يا أخا الإسلام: إن الله تعالى يقول في الحديث القدسي الجليل: « لقد خلقت خلقا، ألسنتهم أحلى من العسل،وقلوبهم أمرُّ من الصبر، فَبِي حَلفتُ لأُتيحنهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران، أبِي يغترون أم عليَّ يتجرئون؟».

وكان المسيح بن مريم – على نبينا وعليه الصلاة والسلام- يقول: « **يا بني إسرائيل، لا تأتوني تلبسون لباس الـرُّهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري، ولكن البسوا ثياب الملوك، وألينوا قلوبكم بخشية الله**».

أخـا الإسلام:

ودَعِ الكذوب فلا يكن لك صاحبا	إن الكـذوب يشـين حـرا يصحب
يلقــاك، يـقسـم أنــه بِــك واثـق	وإذا تــوارى عنــك، فهـو العقـرب
يسقيــك مــن طـرف اللسـان حلاوة	ويـروغ منـك كمـا يـروغ الثـعلب

إن ما رواه منصور بن عمار يذكرنا بالمدرسة الثعلبية التي تخرج الثعالب، والتي حذر القرآن الكريم منها في قوله جل شأنه: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (التوبة: 75-78).

اذكـــر اثنتين: الله، والمـــوت.

وانس اثنتين: إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك.

واحمد الله على اثنين: الإيمان والعافية.

ولا تأمن اثنين على اثنين: لا تأمن رجلا على امرأة، ولا تأمن امرأة على سر.

ولما كنا قد تحدثنا عن ذكر الله، بقي أن نتحدث عن ذكر الموت، فَنِسيانه ضلال مبين. فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من دخـول القبر. واعلم بأن الـدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وأن النفس طماعة فعوِّدها القناعة.

نقول وبالله التوفيق: الحمد لله، المستحق لغايات التحميد، المتوحد في كبريائه من غير تكييف ولا تحديد.

العلي، القوي، الولي، الحميد.

الغني، المغني، المبــدئ، المعيـــد.

المعطي، الذي لا يفنى عطاؤه ولا يبيـد.

المانع، فـلا معطي لـما مـنع، ولا رادَّ لما يريد.

خلق الملائكة وسلكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد.

وصـوَّرهم فأحسن صورهم، وبشَّرهم في الجنة بالنعيم والتخليد.

وبصَّرهم بعـين الاعتبار، وحـــذرهم من عـذاب النار والوعيد.

وألزمهم شكره، وضمن لهم من كنز فضله المزيد، وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولا محيد.

فكم أبكى خليلا بفراق خليله، وكم أيتم وَليدا وشغله ببكائه وعويله.

فهو لا يُبـدئ بفرط حزنه ولا يعيد، هـدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار،الأحـرار منهم والعبيد، أوحش المنازل من أقْمَارها، ونفَّـر طيـور الأرواح عن أوكارها، وعـوضهم من لذة العيش بالتنغيص والتنكيد

فـالملك والمَمْلوك، والغني والصعلوك،، تساوت قبورهم في القفـر والبيـد.

فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد، وكسر به من الأكاسرة كل بطل صنديد.

أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور، وقطع حبـال أمـدهم المديد.

أخـذ بـه الآباء والجـدود، والأطفال مـن المُهُود فأسكنهم اللُّحود، وعفَّر وجـوههم في الصعيد، وساوى في الموت بين الكبير والصغير، والغني والفقير، والمأمور والأمير، والوالد والوليد: أفنى به الذكور والإناث، فهم في سجل الأجداث إلى يوم الوعيد.

أفـلا يعتبر الغافل بمصرعهم، وقد أفناهم الـموت بـأجمعهم، وفـرَّق شملهم بالتبديد؟

فكيف يَغتر الإنسان وهو عـالم بأن الله تعالى يملي للظـالم، حتى إذا أخذه لم يفلته؟ ولم يكن عنه محيد؟ ما كانت نفوسهم بـذلك عالمة وهي مـن الموت غير سالمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ ﴾ (هود: 102).

أين أهل المدن و الحصون. أين أرباب المعاني وقصر مشيد؟

أين الأمم الماضية؟ أين أرباب القصور العالية؟ حقَّ عليهم الوعيد، فلو عاينتهم في قبورهم لعجبت من أمـورهم، قد غـبَّر البَلى أحـوالهم،ومـزَّق أوصالهم، ولم يعرف منهم الأحرار من العبيد.

أما أصبح منهم ذو الشدة والبأس بعد القـرب والإيناس في ظلمة اللحود وحيدا؟ أما وعـظهم الموت بمن أخذ منهم شقيا كان أوسعيداً؟

أما أنذرهم قول المجيد الحميد: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ ﴾

(ق:19).

وَيْحك نبّه نفسك، واعمل لما تلقى غـداً، الموت يأتي وليس منه محيد.

إن كنت يـا صاح نائما فـــلا بد أن تنتبه في قبرك، وأنت فيه وحيد:

« الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا ما انتبهوا ندموا، فإذا ما ندموا لا ينفع الندم » ومن سَكَرَ بِحُبِّ الدنيا كان أشد ممن سكر بالشراب، إذ إن من سكر بالشراب يفيق بعد لحظات، أما من سكر بحب الدنيا فلا يفيق إلا إذا اصطدم رأسـه بجدار القبر في معسكر الموتى.

﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ (الحديد: 20 ، 21).

يا عـاقلا من لك؟ إذا مِتَّ مَلَّكَ مـن كان يهوى صحبتك، وحـزت لحدت وحدك وأنت مفلس غريب وحيد.

دُنيـاك سـاعات سِراع الزوال	وإنمـا العُقبـى خُلـود المـــآل
فهـل تبيـع الخُلـد يـا غافـلا	وتشتري دنيا المنى والضلال؟!

دع دموعك تغسل مـا ران على قلبك، فأنت لا تدري عـن أهل المقابر مَن الشقي ومَن السعيد؟ فدع دموعك تجري قبل أن يقال لك: ألم تكن قبل تدري أن الحساب شديد؟

أنت الذي ولدتك أمك باكيا	والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمد إلى عمل تكون إذا بكَواْ	في يوم موتك ضاحكا مسروراً

كل القلوب قد لانت لكن قلبك قد قسا، كأن قلبك أضحى بين القلوب من حديد... ويحَك هيئ زادك، واحذر من نفاده يا فتى، قبل أن تسافر بغتة فلا يشفع اللـوم والتفنيد.

تـزوَّد مـن حيـاتـك للمعـاد	وقُـمْ لله، واجمـع خَـــيرَ زَادِ
ولا تـركـن إلى الـدنيـا كثـيراً	فـإن المـال يُجمَـعُ للنفـاد
أرتـضى أن تـكون رفيـق قـوم	لهـم زاد وأنـت بغـــير زاد؟!

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ عـاشر عشرة، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، مـن أَكْيَس الناس؟ قال: « **أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادا، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكـرم الآخرة** ».

وقد سُئِل النبي ﷺ عن قوله تعـالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ (الأنعام: 125). فقال: « **إن النور إذا حَلَّ في القلب انفسح له وانشرح، قالوا: فهل لـذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: نعم، التجافي عن عن دار الغـرور، والإنـابة إلى دار الخلـود، والاستعـداد للموت قبل مجيئه** ».

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾ (هود: 15،16).

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ ﴾ (الإسراء:18-21).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا رسول الله، كـراهية الموت، فكلنا يكره الموت؟ فقال: ليس ذاك ولكن المؤمن إذا بُشِّر بـرحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، والكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه**» ذكره مسلم.

ومـــن ثم فقد أخبر الصادق المعصوم قـائلا وقد عاد رسول الله ﷺ مـريضا فوجد المرض قد برح به، فسأله: «**ألا تَـدْع الله؟ قال: بلى يا رسول الله، قال له: فما تقول في دعـائك؟ قال: أقول: اللهم إن كنت تعذبني بشيء في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا. فكأن رسول الله قد غضب، فقال له: يا هذا أنت لا تطيقه، ألا قلت: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾** (البقرة: 201). »

وعاد مريضا آخر فسأله: «**كيف تجـدك؟**» قال: يَـا رسـول الله، أرجـو رحمة ربي، وأخـاف عذابه، فسُرَّ رسـول الله بذلك، وقال: « **ما اجتمع الخـوف والرجـاء لعبد في مثل هــذا الموطن إلا غـفر الله لـه** ».

أما عن تمني الموت، فيقول مبعوث العناية الإلهية: « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نـزَل به، فإن كـان لا بد مُتمنيا فيقل: اللهم أحـيني ما كانت الحيـاة خـــيرا لي، وتـوفني مـا كـانت الـوفاة خـــيرا لي** ».

فاجتهد أيها العبد في العمل الصالح، وأشفق من كأس لا بُدَّ أنك ذائقه، وارحل عن عيش لا بد أنت مفارقه، يا ناسياً للرحيل وقد حث على نحيب الرحيل سائقه، اعتبر بمن سبقك فإنما يعصي المنى سابقه.

ألا أيها القلب الكثير علائقه	ألم تَرَ أنَّ الدهر تجري بَوَائِقه؟
رويدك لا تنس المقابر وليلى	وطعمة كأس الموت إنك ذائقه
ألا أيها الباكي على الميّت بعده	رويدك، لا تعجل فإنك لاحقه
إذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى	بخالقه أنجاه منهُنَّ خالِقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله	على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت يا صاح إنه	سيأتيك منه عن قريب طوارقه

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « **ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث، ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها** ».

وقال رسول الله ﷺ: « **يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي، ألم تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدود؟ غـرَّك بي إذ كنت تمر بي، فإن كان صالحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: إذاً أتحـول عليه روضة خضراء** ».

ولـو أنَّـا إذا مِـتنا تُركِنا	لكان الموت راحةَ كل حيٍّ
ولـكنَّـا إذا مِـتنَا بُـعِـثـنَا	ونُسأل بعده عن كل شيء

روى كعب الأحبار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **لا يمر أحد في المقابر إلا وتناديه أهل القبور: يا غافل، لو علمت ما نحن نعلم لذاب لحمك وجسمك كما يذوب الثلج على النار** ».

وقال النبي ﷺ: « **من أراد أن يـزور قبراً فـلْيَزُرْه ولا يقل إلا خيرا، فـإن الميت يتـأذى مما يتأذى منه الحي** ».

ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: « **مـا مـن رجل يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا عـرفه وردَّ عليه السلام** ».

ومن هنا فقد كـان الصالحـون إذا ضـاقت عليهم الـدنيا، واستحكمت حلقات الشدائد، يذهبون إلى القبور ليزوروا الموتى.

دخل رجل على شيخ الـزاهدين إبراهيم بن أدهم في المقابـر. فـوجده جالسا بين أجـداث الموتى، فألقى عليه السلام ثم قال له: مـع من تجلس يـا إبراهيم؟ أجلس مـع قوم إذا كنت بينهم لا يؤذونني، فإذا فـارقتهم لا يغتابونني. قال له: ألا تـدري أن أسعار السلع قد ارتفعت وأنت هنا جالس؟ قـال له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: علينا أن نسعى كما أُمـرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا.

يا ابن آدم:

تُنَاجِيكَ أَمْوَاتٌ وَهُنَّ سُكُوتٌ	وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَـا جَامِعَ الـدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلاَغَةٍ	لِمَن تَجمَـع الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ
وَإِنَّكُمُو إِذَا مَـا عَلَيْنَـا تُسَلِّمُوا	نَـرُدُّ عَلَيكُـم وَاللِّسَـانُ صَمُوتُ

وقال سليمان بن عبد الملك الـداراني رحمة الله عليه: « قلت لأم هارون العـابدة: أتحبين أن تمـوتي؟ قالت: لا، قلت: ولم؟ قالت: والله لـو عصيت مخلوقـا لاستحييت مـن لقائه، فكيف الخـالق جل جلاله؟ ».

وكيف يَلَذُّ العيشَ مَن هو عالم	بأن إله الخلق لا بد سائله؟
فيأخذ منه ظلمه لعباده	ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وكيف يلذ العيش من كان سائرا	إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله؟
ويذهب رسم الوجه بعد رسمه	قريبا، ويبلى جسمه ومفاصله

وقال أبو بكر الكتاني رحمة الله عليه: « كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياه، فحسب يوما سيئة فوجدها بعد التكليف ستين سنة، فحسب أيامها فوجدها واحد وعشرين ألف يوم، وستمائة يوم (بالحساب الهجري) فصرخ صرخة، وخرَّ مغشيا عليه، فلما أفاق قال: يا ويلتاه وأنا آتي ربي بواحد وعشرين ألف ذنب وستمائة ذنب يقول: هذا لو كان في كل يوم ذنب واحد، فكيف بذنوب لا تحصى؟ ثم قال: آه عليَّ، عَمَرت دنياي وخَرَّبت آخرتي، وعصيت مولاي الوهاب، ثم لا أشتهي النقلة مـن العمران إلى الخراب، وكيف أقدم يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب؟ منازل دنياي عمرتها، وخربت داري في الآخرة، فأصبحت أنكر داري الخـراب ، وأرغب في داري العامرة، ثم شهق شهقة عظيمة، ووقع على الأرض فحركوه فإذا هو ميت رحمة الله عليه ».

قال أبو عمر الضرير: حدثني سهل أخو حازم، قال: رأيت مالك بن دينار في المنام بعد موته فقلت له: «يا أبا يحيى، بماذا قدمت على الله عز وجل؟ قال: قدمت عليه بذنوب كثيرة محاها حسن ظني بالله عز وجل ».

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْراً وَإِنِّي	أَشَـرُّ النَّـاسِ، إِنْ لَمْ تَـعْـفُ عَنِّي
وَمَـا لِي حِيلَةٌ إِلاَّ رَجَـائِي	وَجُودُكَ إِنْ عَفَوْتَ، وَحُسْنُ ظَنِّي

وسُئل بعض الزهاد: كيف حالك؟ فقال: « هو حال من يريد سفرا بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس، ويُقْدم على ملك قادر بغير حجة ».

تَعطَّف بِفَضلٍ مِنكَ يَـا مَلكَ الوَرَى	فَـأَنتَ مَـلاَذِي، سَـيِّدِي وَمُـعِـينِـي
لَئِـن أَبعَدَتْنِي عَـن حِمَـاكَ خَـطِيئَتِي	فَـأَنتَ رَجَـائِـي، شَـافِعِـي وَيَقِـينِي
وَلَسْتُ أَرَى لِـي حُجَّـةٌ أَبتَغِي بِهَا	رِضَـاكَ وَإِنَّ الـعَفْـوَ مِنـكَ يَقِـينِـي

ويُروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه وقف على قبر فبكى، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه ».

سلامي على أهل القبور الدوارس	كأنهمو لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء نهلة	ولم يطعموا من كل رطب ويابس
ولم يك منهم في الحياة منافس	طويل المنى فيها، كثير الوساوس
ألا ليت شعري، أين قبرُ ذليلكم	وقبر العزيز، الشامخ المتشاوس؟
لقد سكنوا في موحش التُّرْبِ والثرى	فها هم بها ما بين راج وآيس
ولو عقل المرء المنافس في الذي	تركتم من الدنيا له، لم ينافس

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: « ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ ومن ذا يصوم عنك بعد الموت؟ ومن ذا يتوضأ عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس، لم لا تبكون على أنفسكم في حياتكم،فمن يكن الموت موعده، والقبر بيته، والتراب فرشه، والدود أنيسه، وهو مع ذلك ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟ وكيف يكون مآله؟ » ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه.

ماذا يكون مآل المرء بعد، هنا	عيـش، وآخـره مـوت سيعقبه؟
والدهر يفجعه فيمن يُسَر به	والموت عن كل مـا يهواه يحجبه

وحـادثـات لياليـه تـردعــه — جهرا فيمزج بالتنغيص مشـربه
يلهـو ويحسب أيـامـا يعـز بها — وللمنيــة قُــربٌ لــيس يحسبـه

ويُروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها، فقالت لها: « أكثري من ذكر الموت يرق قلبك » ففعلت ذلك، فرَقَّ قلبها، فشكرت عائشة رضي الله عنها.

ومرض ابو الدرداء رضي الله عنه فقالوا له: أي شيء تشتهيه؟ قال: الجنة، قالوا:أندعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضني، فقال له رجل من أصحابه: يا أبا الدرداء، أتشتهي أن أسامرك الليلة؟ فقال له أبو الدرداء: أنت معافى أنا مُبتلى، والعافية لا تدعك أن تسهر، والبلاء لا يدعني أن أنام، ثم قال: أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر.

وإذا ابتليت بشِدَّة فاصبر لها — صبر الكرام، فما يدوم مُقَامُها
فالله يبلـــي كـي يُثِيب فـلا — تَضِق ذرعا بنازلة جرت احكامها
ولَرُبَّ يومٍ نازلَتْك خُطُوبه — ثم انجلت قبل الظلام ظلامها
ولئن جزعت، فليس ذك بنافع — إن الأمور قضى بها علَّامها

وجاء في بعض الخطب المروية: أيها الناس، إن الآمال تُطوى، والأعمال تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البريد يقربان كل بعيد، ويَبْلِيان كل جديد، وفي كل ذلك – عباد الله – ما ألهى عن الشهوات، وسلَّى عن اللذات، ورغَّب في الأعمال الباقيات الصالحات.

خليلي إن العمر وافي بلجة، له دائما نحو المنية إعجال، وأرواحنا الأرزاق، والموت ساحل ومن دونه من عاصف الخطب أهوال حقيقة، ذي الدنيا مُحال وباطل، ويتبعنا فيها حُتُوف وآجال، وفي الباقيات الصالحات كفاية لمن قصرت منه على الدهر آمال، وجاء في الخبر: إن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكرباته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: السلام عليك.

ولقد كان سيد الخلق وحبيب الحق لما حضرته الوفاة كان يمسح وجهه بماء بارد ويقول: « سبحان الله إن للموت لسكرات، ثم يدعو الله تعالى قائلا: اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت » فكانت الزهراء رضي الله عنها تقول: «واكرباه على كربك يا أبتاه ». فيرد عليها قائلا: « يا فاطمة لا كرب على أبيك بعد اليوم ».

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

يا خيرَ من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ
نفسي تتوق لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف، وفيه الطهر وفيه الكرم

وقيل لحسان بن أبي سنان: « كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، فقيل: ما تشتهي؟ قال: ليلة طويلة أصيلها كلها ».

خرجتُ من الدنيا وقامت قِيَامتي غداةَ أقلَّ الحاملون جنازتي
وعجَّل أهلي حفر قبري، وصيَّروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهمو لم يعرفوا قط صحبتي غداة أتى يومي عليَّ وساعتي

وقيل: دخل المزني على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه، فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: « أصبحت عن الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس المنية شاربا، وعلى ربي سبحانه وتعالى واردا، ولا أدري روحي صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها؟ » ثم أنشد:

ولما قسا قلبي، وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظَمني ذَنْبي، فلما قرنتُه بعفوك ربي كان عفوُك أعظما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل تجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

هذا هو الشافعي الذي بات ليلة عند تلميذه أحمد بن حنبل، ولاحظت عليه بنت الإمام أحمد ثلاثة أمور:

قالت: يا أبتاه: أهذا هو الشافعي الذي تحدثني عنه؟ قال لها: نعم، ماذا تريدين منه؟ قالت: لاحظت عليه أمورا ثلاثة. قال: وما هي؟

قالت:

أولهـــا: أنه تنـــــاول كثـــيرا مـــن الطعـــام.

وثانيها: أنه لم يقم فيصلي من الليل تهجدا.

وثالثها: أنه صلى الفــــــجر ولـم يتـــــوضأ.

فتوجه الإمام أحمد بهذه الأمور إلى الإمام الشافعي، فقال الإمام: أما إنني أكلت كثيرا، فذلك لأنني أعلم أن طعامَكَ حلال، فأكلت لأشْتَفِي، فطعام الكريم دواءٌ وطعام البخيل داءٌ، ومن أكل من طعام أخيه لِيَسره، فبإذن الله لن يضره. قال ﷺ: « لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي ».

وأما إنني لم أصل قيام الليل، فذلك لأنني عندما وضعت رأسي فتح الله علي باثنتين وسبعين مسألة، استنبطتها من كتاب الله وسُنَّة رسوله، عسى الله أن ينفع المسلمين بها.

وأما إنني لم أتوضأ لصلاة الفجر فذلك لأنني صليت الفجر بوضوء العشاء.

وهذا الإمام الجليل التقي الزاهد الطاهر النقي، كان يقول:

أحِبُّ الصالحين ولست منهم ... لعلي أنْ أَنال بهم شفاعه

وأكــره من تجــارتهم معاصي ... وإن كنا سويــا في البضاعه

فرد عليه الإمام أحمد قائلاً:

تُحِبُّ الصالحين وأنت منهم ... ومنكم سوف يَلقَوْن الشفاعه

وتكره من تجارتهم معاصي ... وقاك الله من شر البضاعه

وهذا الإمام الشافعي الذي قال:

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

وهذا الشافعي، الذي كان يقول فضلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، وصدقت فيه نبوءة المصطفى ﷺ: « عالم قريش، يملأ طباق الأرض علما » هو صاحب القصيدة العصماء التي تقول أبياتها:

إذا المرء لا يلقاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير في ود يجيء تكلفا

ولا خير في خل يخون خليله ... ويلقاه بعد المودة بالجفا

وينكر عيشا قد تقادم عهده ... ويظهر سرا كان بالأمس قد خفا

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق، يصْدُقُ الوعد مُنْصفا

وهذا الشافعي هو الذي قال في مدح السفر:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحة، فدع الأوطان واغترب
سافِرْ تجد عوضا عمَّن فارقته وانْصَب، فإن لذيذ العيش في النصَبِ
إني رأيت وقوف الماء يُفْسده إن سال طاب، وإن لم يجر لم يطب
الشمس لو وقفت في الفلك دائمة لمَلَّها الناس من عجم ومن عرب
والأُسْد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يُصِبِ
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن يعزب هذا عزَّ مطلبه وإن يعزب ذاك عزَّ كالذهب

والشافعي هو الذي قال عند وفاته:

ولما قسا قلبي ، وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي، فلما قرنتُه بعفوك ربي، كان عفوك أعظما
فما زِلْتُ ذا عَفُو عن الذنب لم تزل تجود، وتعفو مِنَّةً وتكرما
فيا ليت شعري، هل أصير لجنةٍ فأهنأ، وإما للسعير فأندما؟

يروى أن رجلا جاءإلى مقبرة، فصلى ركعتين، ثم اضطجع فرأى في منامه صاحب القبر فقال له: « يا هذا إنكم تعلمون وتعملون ونحن نعلم ولا نعمل، والله لأن تكون ركعتين في صحيفتي أَحَبُّ إلي من الدنيا وما فيها »

ويروى أن أحد المتعبدين أتى قبر صاحب له، كان يألفه، فأنشد يقول:

مالي مررتُ على القبور مُسلِّما قبر الحبيب، فلم يرد جوابي
أَجِب، ما لك لا تجيب منادياً أمللت بعدي خُلَّة الأصحاب؟
لو كان ينطق بالجواب لقال لي أكل التراب محاسني وشبابي

قال: فهتف بي هاتف من جانب القبر:

قال الحبيب: وكيف لي بجوابكم أنا رهين جنادل وتراب؟
أكل التراب محاسني، فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أصحابي

فعليكم مني السلام تقطعت   عني وعنكم خلة الأصحاب
وتمزقت تلك الجلود صفائحا   يا طالما لبستُ رفيع ثيابِ
وتساقطت تلك الأنامل من يدي   ما كان أحسنها لخطِّ كتابي
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا   ما كان أحسنها لردِّ جواب
وتساقطت فوق الخدود نواظري   يا طالما نظرت بها أحبابي

وقال ثابت البناني رضي الله عنه:

« دخلت المقابر لأزور القبور، وأعتبر بالموتى، وأتفكر في البعث والنشور، وأَعِظ نفسي لعلها ترجع عن الغي والفجور، فوجدت أهل القبور صامتين لا يتكلمون، وفرادى لا يتزاورون، فأيست من مقالهم، واعتبرت بأحوالهم، فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول: يا ثابت، لا يغرنك صمت أهليها فكم من نفس معذبة فيها ».

مر داود الطائي بإمرأة تبكي على قبر، وهي تنشد هذه الأبيات:

عُدِمتَ الحياة فلا نلتَها   إذا أنت في القبرِ قد أوسَدُوكَا
وكيف ألذُّ بطَعم الكرى   وها أنتَ في القبر قد أفردُوكَا

ثم قالت: يا أبتاه، بأيِّ خدَّيْك بدأ الدود؟ قال: فخرَّ داود مغشيا عليه.

* * *

فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

وعـن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » رواه الشيخان والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس** » رواه مسلم والنرمذي.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أخبرك بأَحَب الكلام إلى الله؟ قلت: أخبرني يا رسول الله، قال: إن أَحَبَّ الكلام إلى الله، سبحان الله وبحمده** » **رواه مسلم والترمذي، ولفظه:** « **أَحَبُّ الكلام إلى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته: سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده** ».

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة**». رواه الترمذي وحسنه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: « **استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هُن يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله** » رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لقيت إبراهيم ليلة أُسْريَ بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخـبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** » **رواه الترمذي والطبراني، وزاد:** « **ولا حول ولا قوة إلا بالله** ».

وعند مسلم: أن النبي ﷺ قال: « **أحب الكلام إلى الله أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** ».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** » رواه البخاري ومسلم. أي أجزأته عن قيام تلك الليلة، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة.وقال ابن خزيمة في صحيحه: « باب أقل ما يجزي من القراءة في قيام الليل » ثم ذكره.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: الله الواحد الصمد: ثلث القرآن** » رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَت له مائة حسنة، ومُحِيَت عنه مائة سيئة، وكانت حِرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وزاد مسلم والترمذي والنسائي: « **ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر** ».

الترهيب من عدم ذكر الله في المجالس

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **مـا قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه، ولم يُصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة** » رواه الترمذي.

وروى أحمد بلفظ: « **ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم تِرَّة** » أي حسرة وندامة « **وما من رجل يمشي طريقا فلم يذكر الله عز وجل إلا كانت عليه تِرَّة** ».

جاء في « فتح العلام »: إن ما جاء في الحديث يدل على ان الذكر واجب، وكذلك الصلاة على النبي ﷺ في المجلس، لا سيما مع تفسير « التِرَة »: بالنار، أو العذاب، فقد فُسِّرت بهما، فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محـظور.

ذكر كفـارة المجلـس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من جلس مجلسا فكثُر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم مـن مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفَّر الله له ما كان في مجلسه ذلك** ».

فضل من قال: لا إله إلا الله مخلصا

عـن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **أفضل الـذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله** » رواه النسائي وابن ماجه والحاكم.

فضل الاستغفـــار

جاء رجل إلى الحسن البصري رضي فشكى لـه قلة المطر، فقال له: استغفرالله، وجاء آخر فشكى له قلة المال، فقال له: استغفر الله، وجاء ثالث فشكى له قلة البنين، فقال له: استغفر الله، وشكى له رابع قلة الإنبات، فقال له: استغفر الله، قالوا: يا تقي الدين كلما جاءك شاكٍ قُلتَ له: استغفر الله، قال لهم: نعم،أو ما قرأتم قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح: 10-12).

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يقول الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب** » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم

والأمانة مع المال والاستغفار تزيده بركة ونماء: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: 96).

قال ﷺ: « **إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملاً موفرا طيبةً به نفسه حتى يدفعه إلى الذي أمر له به أحـد المتصدقين** ».

وعقَّب القرآن الكريم في الآية السابقة بقوله جل جلاله: ﴿ **وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦** ﴾ (الأعراف: 96).

قال ﷺ: « **إذا أراد الله بقوم قحطاً، نادى منادٍ من قِبَلِ الله: يا أمعاء اتسعي، يا بركة ارتفعي، يا عين لا تشبعي** ».

هل يضير الله شيء عندما يبسط يده بالخير على عباده؟ وهل تنقص خزائنه أن يفيض على الناس من البركات؟ لا والذي نفسي بيده.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن يمين الله ملأى لا يغيضها (أي لا ينقصها) نفقة، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض** ».

إن المؤمن الصادق هو الذي إذا سأل لا يسأل إلا الله، وإذا استعانَ لا يستعين إلا بالله، وإذا توكلَ فعلى الله، لا يلجأ لغيره، ولا يـذِّل نفسه ما دام يؤمن بـأن الرافع الخافض هـو الله، وأن الباسـط القـابض هـو الله، وأن المعز المذل هو الله، وأن المعطي المـانع هو الله، وان المحيي المميت هـو الله، أما الذي يلجأ لغيره فحسبه ما لجأ إليه.

قال ﷺ: « **من فتح على نفسه باباً من السؤال، فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر** ».

ما أعظم أن يعرق الجـبين في طلب الحلال، روي أن النبيﷺ كـان جالسا ذات يوم مع أصحابه، فنظروا إلى شـاب ذي جَلَدٍ، وقد بكَّـر يسعى، فقالوا: ويـح هذا لو كان شبابه وجَلَده في سبيل الله، فقال ﷺ: « **لا تقولوا هذا، فإن كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبـوين ضعيفين أو ذريـة ضـعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثراً فهو في سبيل الشيطـان**»

ولأهمية الاستغفار نقول: إذا نـزل القحط، وامتنع المطر، تقرب الـزارع المسلم إلى الله بالصلاة والدعـاء، ويستحب للزارع إذا نزل بهم القحط وامتنع المطر أن يتقربوا إلى الله بالصلاة والدعاء اقتداء برسول الله ﷺ.

فقد حدث ان رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان تجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسـول الله ﷺ قائما فقال: يـا رسـول الله هلكت المـواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا.

قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: « **اللهم اسقنا، اللهم اسقنا** ».

قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة (القطعة من السحاب الرقيق الأبيض) ولا شيئا (أي من ريح أو كدرة مما يدل على المطر) وما بيننا وبين سلع (جبل بالمدينة) من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (أي المجن الذي يتقى به للحرب) فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال:والله ما رأينا الشمس سِتّاً (أسبوع) ثم دخل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام (الهضبة او الجبل الصغير) والجبال والآجام (الغابة) والظِّراب (الجبال المنبسطة على الأراضي) والأودية ومنابت الشجر**»، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس.

وفي حديث آخر: قال: خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة.

أرأيت كيف كان الذكر والتضرع إلى الله واللجوء إليه؟

انظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾** ﴾ (النمل: 60-65).

سبحانك الله أنت الواحد		كل الوجود على وجودك شاهد
يا من عَنَت الوجوهُ بأثرها		رهباً، وكلُّ الكائنات توَحِّد
أنت الإله الواحد الحقُّ الذي		كل القلوب له تُقِرُّ وتشهدُ

أرأيت كيف أمر الله السماء أن تمطر حتى صار ماؤها مغزارا ومدراراً ومكثاراً، إنه سـر الاستغفار والذكر.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (هود: 52).

إن ذكـر الله يضيء جنبات الحياة إذا أظلمت، ويبدد ظلماتها إذا صارت قطعا من الليل مظلما، ويهدي إلى سواء الصراط إذا ما ادْلَهَمَّت الفتن واحتدمت الخطوب.

أُسند عـن الحارث، عـن علي رضي الله عنه فيما أخـرجه الترمذي قـال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: « **ستكون فِتَن كقِطع الليل المظلم** ». قلت: يا رسول الله، وما المخرج منها؟ قال: « **كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ مَن قبلكم، وخير مَن بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملُّه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا:﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ ﴾ (الجن: 01). مَنْ عَلِم عِلمَه سبق، ومـن قال به صدق، ومـن حكم به عـدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعـا إليه هُدِي إلى صـراط مستقيم** ».

ويقول ابن عوف فيما رواه البخاري رضي الله عنه: « ثلاث أُحِبهن لنفسي وإخواني:

هذه السُّنَّة أن يتعلموها ويسألوا عنها.

والقـرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه.

ويـدعـوا النـاس إلا مـن خـير ».

ويقول سيدنا علي رضـوان الله تعالى عليه في كلام طـويل له: « اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغش، والهادي الذي لا يُضِل، والمحدِّث الذي لا يَكذِب، وما جَـالس هـذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو

نقصان: زيادة في هدى ونقصان من عمُر، واعلموا : أنه ليس على أحـد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحـد بعد القرآن من غنى، فاستشفوه مـن أدوائكم، واستعينوا بـه لآوائكـم، فـإن فيه الشفاء من أكبر الداء ... ».

وعن مرة الهمداني يقول: « قال عبد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وأن ما تـوعـدون لآت وما أنتم بمعجزين ».

* * *

الذكـر المُضاعف وجــوامعه

عـن جــويرية بنت الحارث أم المؤمنين أن النبي ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: « **ما زلتِ على الحال التي فارقت عليها؟ قال: نعم، قال النبي ﷺ: قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وُزِنت بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزِنة عرشه، ومداد كلماته** » رواه مسلم وأبو داود.

ودخل رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى (أو حصى) تسبح الله به، فقال: « **أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ماخلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله اكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك** » رواه أصحاب السنن والحاكم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدَّثهم أن عبدا من عباد الله قال: « **يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، ومعنى عضلت:أي اشتدت وعظُمَت،فصعدا إلى السماء فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقـالة لا ندري كيف نكتبها؟ قال الله، وهو أعلم بما قاله عبده: ما قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجــزيه بها** » رواه أحمد وابن ماجة.

* * *

أذكــــار الصبــاح والمســـاء

أذكار الصباح يبدأ وقتها من طلوع الفجـر إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء ما بين العصر والغروب.

روى مسلم عـن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **من قال حين يصبح وحين يسمي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه** ».

وروى أيضا عن ابن مسعود قال: « **كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال:** أمسينا وأمسى **الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ربِّ أسألك خير ما في هذا الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكـبر، رب أعوذ بك من عـذاب في النار وعذاب في القـبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا:** أصبحنا وأصبح **الملك لله، إلى آخره** ».

وروى أبو داود، عن عبد الله بن حبيب قال: قـال رسـول الله ﷺ: « **قـل. قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح – ثلاث مرات – تكفك من كـل شيء** » قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى أيضا عـن أبي هـريرة أن النبي ﷺ كان يُعلِّم أصحابه يقول: « **إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير** » قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري عن شـداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: « **سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة** ».

وفي الـترمذي عـن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أبا بكر الصـديق رضي الله عنه قال لرسـول الله ﷺ: مُـرْني بشيء أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: قل: « **اللهم عـالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، ربَّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، وأن نقترف**

على نفسي سوءاً أو نجره إلى مسلم. قُلْهُ إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك » قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء** » أي لا يضره شيء.

وفيه أيضا عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً: كان حقا على الله أن يرضيه** ».

وفي الترمذي أيضا عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أُشهِدك وأُشهِد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك أنك أنت الله، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك ﷺ أعتق الله رُبعَه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أربَاعه من النار، ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار** »

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شُكرَ يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته** ».

وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يدَعُ هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: « **اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي** » قال وكيع: يعني الخسف.

وعن عبد الرحمان بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبت، إني أسمعك تدعو كل غداة: « **اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني بصري، لا إله إلا أنت. تعيدها ثلاثا حين تصبح وحين تمسي؟ فقال: وإني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحب أن أستَنَّ بسُنَّتِه** » رواه أبو داود.

وروى ابن السني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال إذا أصبح: اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتِمَّ علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، ثلاث مرات، إذا أصبح وإذا أمسى كان حقا على الله أن يتم عليه** ».

ورُوي عن أنس أنه ﷺ قال: « **أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: كان إذا أصبح قال: اللهم وَهَبْت نفسي وعِرضي لك، فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه** ».

ورُوي عن ابن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة** ».

ورُوي عن ابن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء، فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك، فقال: ما احترق، لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ، من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح:

« **اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلمُ أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم** » وفي بعض الروايات أنه قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه، فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء!!

* * *

أذكـار النـوم و أذكار الاستيقاظ

أذكــار النــوم

روى البخاري عـن حـذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما قـالا: كـان النبي ﷺ إذا آوى إلى فـراشه قـال:

« **باسمك اللهم أحيا وأموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** ».

وكان من هديه ﷺ أن يضع يده اليمنى تحت خده ويقول: « **اللهم قِني عذابك يوم تبعث عبادك – ثلاثا –ويقول: اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء إقض عنا الدين وأغننا من الفقر** »

وكان يقول: « **الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي** »

وكان إذا آوى إلى فـراشه كل ليلة جـمع كفَّيْه ثم نفث فيهما فقـرأ فيهما: « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس »، ثم مسح بهما مـا استـطاع مـن جـسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهـه ومـا أقبل من جسده الشريف، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وأرشـد ﷺ أن يقـول المضطجع: « **باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** ».

وقال ﷺ لفاطمة: « **سَبِّـحِي الله ثـلاثا وثـلاثين، واحمــديه ثـلاثا وثـلاثين، وكَـبِّرِيه أربعا وثـلاثين** ».

وأوصى ﷺ بقراءة الدعاء المتقدم ذكره: « **اللهم فاطر السماوات والأرض** » ... إلخ، كما أوصى بقراءة آية الكرسي، وأخبر بـــأن من يقرأها لا يزال عليه من الله حافظ.

وقال للبراء: « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغـبة ورهـبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك**

إلا إليك، آمنت بـكتابك الـذي أنـزلت، ونبيك الذي أرسلت، ثم قال: فإن مِتَّ مِتَّ على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول».

دعـاء الاستيقاظ من النـوم

أرشـد رسـول الله ﷺ المستيقظ مـن نومه أن يقـول: « **الحمد لله الذي رد علي روحي، وعـافاني في جسدي، وأَذِنَ لي بذكره** ».

وكان إذا استيقظ قال: « **لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تُزِغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ».

وصحَّ أنه ﷺ قال: « **من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلَّى قُبلت صلاته** ».

الدعاء عند الفزع والأرق والوحشة

عن عمرو بن شعيب عـن أبيه عـن جـده أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا فـزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همـزات الشياطـين وأن يحضـرون، فإنها لـن تضره** » قال: وكان ابن عمر يُعَلِّمها من بَلَغَ من ولده، ومن لم يَبْلغ منهم كتبها في صك وعَلَّقها في عنقه. إسناد حسن.

وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أصابه أرق فقال رسول الله ﷺ: « **ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: اللهم رب السماوات السبع وما أظلَّتْ ورب الأرضـين وما أقلَّتْ، ورب الشياطـين ومـا أضلّتْ، كـن لي جار من شـر خلقك كلهم جميعا، أن يفـرط عليَّ أحـد منهم، أو أن يبغي عـليَّ، عـزَّ جـارك، وجـل ثناؤك، ولا إله غـيرك، ولا إلـه إلا أنت** ».

* * *

المؤمنـون الصـادقـون

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الأنفال: 2 – 4).

هذه صفات كريمة، وخصال نبيلة، وسجايا حميدة، ومشاعر عالية رفيعة، بَداها الله تبارك اسمه بقـوله: « إنما المؤمنون » ثم حكم لهم في نهاية المطاف بأحكام:

أولها: « أولئك هم المؤمنون حقا ».

وثانيها: « لهم درجات عند ربهم ».

وثالثها: « مغفـــــرة ».

ورابعها: « ورزق كريم ».

ما أجمل هذه الصفات التي من أَجْلها استحق هـؤلاء الأحكام! فما أصدق الله إذ قـال، ومـا أعدله إذا حكم!، إنه جـل شأنه وصف هـؤلاء بأنهم إذا ذكـر الله وَجِلت قلـوبهم مـن عظمته وهيبته، ونزلت فيها السكينة والطمأنينة لعفـوه ورحمـته وبِرِّهِ وكـرمه، قـال جـل شـأنه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: 28).

ووصفهم ثانيا بقوله عز من قائل: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ ذلك: لأن الإيمان يـزيد بالطاعة.

ومـا من شك في أن شجرة الإيمان طيبة الثمر، كـريمة العطاء، أصلها ثـابت وفـرعها في السماء، كلما تعهـدتها بالأعـمال الصالحة زادت نماء وكرما، إذ إنها بالأعمال الطيبة الصالحة: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

ووصفهم مولانا تبارك وتعالى ثالثا بقوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي لا يسلمون أمورهم ويفوضون شؤونهم – بعد الأخذ بالأسباب – إلا على الواحد القهار جل شأنه، فهم إذا سألوا لا يسألون إلا الله، وإذا استعانوا فلا يستعينون إلا بالله، وإذا توكلوا فلا يتوكلون إلا على الله.

ورحم الله القائل:

لا تخضَعَنَّ لمخلوقٍ على طَمعٍ	فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدرَ العبدُ أن يعطيك خردلةً	إلا بإذن الذي سوَّاك من طين
فلا تُصاحِب غنيا تستعز به	وكن عفيفا، وعظِّم حُرمة الدين

واسترزق الله مما في خزائنه	فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغنِ بالله عن دنيا الملوك كما	استغنى الملوك بدُنياهم عن الدين

ووصفهم مولانا رابعا بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يُؤدونها أداء مستقيما لا عِوج فيه ولا نقص، وإنما كمال وخشوع وجلال.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تصف صلاة رسول الله ﷺ: « **كان يحدثنا ونحدثه، ويكلمنا ونكلمه، فإذا حضرت الصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه** ».

وقد سُئل « حاتم الأصم » رضي الله عنه: كيف أنت إذا دخلتَ الصلاة؟ قال: إذا أردت الدخول في الصلاة توضأت فأحسنت الوضوء، ثم إذا توجهت للوقوف بين يدي الله جعلت كأن الكعبة أمامي، والموت ورائي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، والصراط تحت قدمي، والله مُطَّلِع علي، ثم أُتِمُّ ركوعها وسجودها، فإذا سلَّمت لا أدري أقَبِلَها الله، أم ردها علي؟!

يرحم الله هؤلاء الأبرار الأطهار، الأتقياء الأنقياء الأصفياء الأخيار، إنهم عرفوا الله فأحبهم الله... فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

كانوا في حالة السلم كما وصفهم مولانا جل شأنه في قوله: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ**

عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ ﴾ (النور: 36 – 38).

وكانوا في حالة الحرب كما قال الله في شأنهم: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ (الأحزاب: 23، 24).

ووصف الله تعالى المؤمنين الصادقين خامسا بقوله: ﴿ **وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ** ﴾ أي أنهم عرفوا أن نِعَم الله التي يسديها ويسوقها إلى عباده لا بد لها من تزكية تتطهر بها.

فالمال: رزق، وفيه نفقة.

والعلم: رزق، وفيه نفقة.

والصحة: رزق، وفيها نفقة.

والذكاء: رزق، وفيه نفقة.

فنفقة العلم: أن ينفع الناس به، ويخرجهم بالهداية من الظلمات إلى النور.

ونفقة المال: أن يعين به الفقراء والمساكين، ويغيث به ذا الحاجة الملهوف ويأخذ بيد الضعيف، ويواسي به البؤساء.

ونفقة الصحة: أن يستعملها في الخير، فيشارك الضعفاء، ويزيل النكبات عن المنكوبين.

ونفقة الذكاء: أن يستغله في الخير والبناء، لا في الهدم والتخريب وظلم العباد.

هذه نِعَم الله أنعم بها على عباده، وأمرهم أن يؤدوا ما وجب فيها، شكرا لله المنعم المتفضل، الذي يقول في الحديث القدسي الجليل: « **عبدي، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك** ».

هذه خمس صفات، استحقوا بمقتضاها أن يحكم لهم بأربعة أحكام:

1- أولئك هم المؤمنون حقا.
2- لهم درجات عند ربهم.

3- ومغفـــــرة.

4- ورزق كريم.

فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وجعلنا منهم.

* * *

خـاتمة في ذكـر الله تعــالى

لما كانت الصفة الأولى من صفات المؤمنين الصادقين قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (الأنفال: 02).

أردنا أن نذكر كلمات جامعة في ذكره جل شأنه: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: « **رآني النبي ﷺ وأنا أحرك شفني، فقال لي: بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أمامة؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله، فقال: ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: تقول: سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله ملء كل شيء، الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في السماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء** » رواه أحمد.

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: « **من قال: الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ثلاث مرات، فتقول الحفظة: ربنا لا نحسن كنه ما قدسك عبدك هذا وحمدك، وما ندري كيف نكتبه؟ فيوحي الله إليهم أن اكتبوه كما قال عبدي** » رواه البخاري.

والحمد لله أولاً وآخراً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الصـــلاة على رسول الله ﷺ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: 56).

« اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ».

إن الصلاة على رسول الله ﷺ تخرج صاحبها بفضل الله من ظلمات الغفلة والشهوة والشبهة وترتفع به من غياهب الظلمات إلى مدارج الأنوار ومعارج الاسرار ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾** ﴾ (الأحزاب:43،44).

قال ﷺ: « **من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطَّت عنه عشر خطيئات، ورُفعت له عشر درجات** ».

وروى النسائي عن أبي طلحة أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك، قال: « **إنه أتاني الملَك فقال: يا محمد إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي أحد عليك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم أحد عليك إلا سلمت عليه عشراً** ».

فهذا فضل الله تعالى على عباده إذا هم صلوا على نبيه ﷺ.

وتتأكد الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذُكر اسمه، لما رواه الترمذي عن علي بإسناد حسن: « **البخيل مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ علي** ».

ويجب هنا أن نذكر ما جاء في كتب التفسير عن معنى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾** ﴾ (الأحزاب: 56).

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. وقال ابن عباس: يصلون أي يباركون.

ورُوي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

ورُوي عن عطاء بن أبي رباح ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ** ﴾.

قال: صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي.

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه عز وجل: يا موسى سألوك... هل يصلي ربك؟ فقل: نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦** ﴾.

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣** ﴾ (الأحزاب: 41 – 43).

وقال جل شأنه: ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧** ﴾ (البقرة: 155 – 157).

وفي الحديث الشريف: « **إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف** ». وقال عليه الصلاة والسلام: « **إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلُّون على معلِّم الناس الخيرَ** »

وللطبراني في الأوسط والكبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس** ».

* * *

كيفيــة الصــلاة على رســول الله ﷺ

وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تبين لنا كيفية الصلاة عليه كما تفيد الأمر بالصلاة عليه.

قال البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦** ﴾.

قال: حدثنا سعيد بن يحيي بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: « **قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد** ».

ومعنى قولهم لرسول الله ﷺ: قد علمنا السلام عليك فالمقصود ما جاء في التشهد وهو: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وفي حديث آخر قـالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: « **اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد** ».

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، أما السلام فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا؟ فقال: قولوا: « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد** » وذكره. ورواه الشافعي رحمه الله

في مسنده عن أبي هريرة بمثله، ومن هنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته.

وأخرج الأمام أحمد: عن بريدة قال: قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: « **قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد** ».

وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدون لعل ذلك يُعرَض عليه، قال: فقالوا له: علِّمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يَغْبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفي رواية قالوا: يا رسول الله علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وارحم محمدا كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد** ».

فيستدل بهذا الحديث من ذَهَب إلى جواز الترحم على النبي ﷺ كما هو قول جمهور العلماء، ويقويه حديث الأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حجرت واسعاً** ».

* * *

بركات الصلاة على رسول الله ﷺ

ومن بركات الصلاة على رسول الله ﷺ إن الملائكة تصلي على مَنْ صلى عليه مادام يصلي عليه.

قال ﷺ: « **من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليَّ فليقل عبد من ذلك أو ليُكثرْ** ».

وروى ابو عيسى الترمذي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ».

وعن زيد بن طلحة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أتاني آت من ربي فقال لي: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً. فقام إليه رجل فقال:يا رسول الله، ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال: إن شئت، قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: إن شئت، قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: إذن يكفيك الله هَمَّ الدنيا وهَمَّ الآخرة** ».

وروى احمد رضي الله عنه بسنده عن عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه، فقال: فجئت أنظر، فرفع رأسه فقال: « **ما لك يا عبد الرحمان؟ قال: فذكرت له ذلك، فقال: إن جبريل عليه السلام قال لي ألا أُبشِّرك، إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه** ».

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يُرى في وجهه، فقالوا: يا رسول الله، إنا لنرى السرور في وجهك، فقال: « **إني أتاني الملَك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا سلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا؟ قلت: بلى** ».

وقال الإمام أحمد رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **صلوا علي فإنها زكاة لكم، وسلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو** ».

ومعنى طلب الوسيلة لرسول الله ﷺ أن يقول العبد: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته.

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: « **من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقلل عبدٌ من ذلك أو ليُكثرْ** ».

وعن عبد الله بن عمرو قال:خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال: « **أنا محمد النبي الأمي – قاله ثلاث مرات – ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه، وعلمت كم خَزنة النار**

وحملة العرش وتجـوز لي، عـوفيتُ وعوفيتْ أمتي، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذُهِب بي فعليكم بكتاب الله أحِلوا حلاله وحرِّموا حرامه»

وروى أبو داود الطيالسي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من ذُكِرْت عنده فليُصَلِّ علي، ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشراً** ».

*　　*　　*

مـن أبخـل النـاس؟

يبين الرسول ﷺ في أحاديثه أن البخيل، بل إن أبخل الناس، من إذا سمع اسم الرسول ﷺ يُذكر فلا يصلي عليه.

وقال ﷺ :« **البخيل من ذُكـرْت عنده ثم لم يصلِّ علي** ».

وقال ﷺ: « **بحسب امرئ من البخل أن أُذكَـر عنده فلا يصلِّي علي** ».

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: « **رغِم أنف رجل ذُكِرْت عنده فلم يصل علي، ورغِم أنف رجل دخل رمضان عليه ثم انسلخ قبل أن يُغفَر له، ورغِم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَرَ فلم يُدخلاه الجنة** ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما جلس قـوما مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم** ».

وقد روى أبو هريرة عـن النبي ﷺ أنه قال: « **ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يُصلون علي إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يـرون الثواب** ».

وروى الإمام أحمد رضي الله عنه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسـول الله ﷺ يقـول: « **إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صـلاة صلى الله عليه بها عـشرا، ثم سلـوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد مـن عباد الله وأرجو أن أكـون أنا هو، فمن سـأل لي الـوسيلة حلَّت عليه الشفاعة** ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **صلوا علي فإن صلاتكم عليَّ زكاةٌ لكم، وسلوا الله لي الوسيلة، والوسيلة أعلى درجة في الجنة** ».

وروى الإمام أحمد بسنده عن رويفع بن ثابت الأنصاري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي** ».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وروى الإمام أحمد بسنده عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال: « **اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك** » وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: « **اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك** ».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « **إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي ﷺ** ».

وروى الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « **الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك** ».

وروى الإمام أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: « **اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولَّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقِني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت** ». **وزاده النسائي في سننه بعد هذا « وصلى الله على محمد** ».

* * *

الصلاة على المختار يوم الجمعة وليلتها

ليس هناك أدنى شك في أن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، وذلك لأنه عـيد المسلمين، والجمعة حج المساكين، والسماوات والأرض تحتفي بهذا اليوم العظيم.

ومن أفضال هذا اليوم أن الصلاة على رسول الله ﷺ فيه لها اعلى المكانات وأعظم الدرجات.

اسمع معي ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكـثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معـروضة علي. قالـوا: يا رسـول الله، وكيف تُعـرَض عليك صلاتنا وقد أرِمْت؟ – يعني قد بليت – قال: إن الله حـرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

وروى عبد الله بن ماجة بسنده عن أبي الـدرداء رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: « **أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فـإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لـن يصلي علي فيه إلا عُـرضت علي صـلاته حتى يفرغ منها. قال قلت: وبعد المـوت؟ قـال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** ».

وقال الشافعي: أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي ﷺ قال: « **إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا من الصلاة علي** ».

وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر في الخـطبتين، ولا تصـح الخطبتان إلا بذلك، فإنها عبادة وذكـر الله شـرط فيها، فـوجب ذكـر رسـول الله ﷺ فيها، كـالآذان والصـلاة، وهـذا مذهب الشافعي وأحمـد رضي الله عنهما. ومـن ذلك يستحب الصـلاة والسـلام عليه عنـد زيـارة قـبره ﷺ.

وروى أبـو داود بسنده عـن أبي هـريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: « **ما منكم مـن أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحـي حـتى أرد عليه السـلام** ».

وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رســول الله ﷺ: « **لا تجعلوا بيوتكم قبــورا، ولا تجعلوا قــبري عــيدا، وصلوا علي فإن صــلاتكم تبلغني حيثما كنتم** ».

صلى عليك الله يــا علم الهدى، ما هبَّت النسائم، وما نــاحت على الأيك الحــمائم.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

صلَّت عليك ملائك الرحمان	وسَرَى الضياءُ بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزودا	بحِمى الإله وراية القرآن

تباركت ربنا وتعاليت، جلَّت حكمتك وعمَّت رحمتك وعظمت رأفتك، أرسلته هاديا للناس، ووصفته في التوراة بقولك: « **يـا أيها النبي إنا أرسلناك شـاهدا ومبشرا ونذيرا وحـرزا للأميين، أنت عبدي ورسـولي، سَمَّيتُك المتـوكل، ليس بفظٍّ ولا غـليظ ولا سخَّاب في الأسـواق، ولا يـدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفـو ويغفـر، ولن يقبضه الله حـتى يقيم به الملة العـوجاء بأن يقولـوا لا إله إلا الله، فيفتـح به أَعـيُنا عُمياً وآذاناً صُماً وقلـوبا غُلفاً** ».

صلـوات ربي وسـلامه عـليك يا مبعوث العناية الإلهيـة، يـا من أرسلك الله رحمـة للعـالمين، يـا خـاتم الأنبياء والمـرسلين، يا قـائد الغُـرِّ المحجلين، يـا إمـام المـوحدين، يا صـاحب المقام المحـمود، والمـوقف المشهود، واللواء المعقـود، والحـوض المـورود.

يا من قال الله في شأنك: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا** ﴾ (سبأ: 28).

ويا من قال الله في شأنك: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦** ﴾ (الأحزاب: 56).

* * *

الفهـــــرس

<u>**تمت بحمد الله وفضله**</u>